إشراقة أمة

فؤاد محمود إبراهيم آل محمود
12- 01- 2009م

رقم الناشر الدولي: 18BN 978-99901-668-0-4
رقم الإيداع بالمكتبة العامة: .د.ع 2009/7392م

الفهرس

إهداء 9

مقدمة 10

أ – تشريف الأمة قبل بعثتها ..... **Error! Bookmark not defined.**

خير أمة أخرجت للناس في قضاء الله تعالى وقدره وفي اللوح المحفوظ..... **Error! Bookmark not defined.**

ذكر القرآن في الكتب السابقة..... **Error! Bookmark not defined.**

أخذ العهد على جميع الأمم بالإيمان بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ونصره.. **Error! Bookmark not defined.**

أخذ الميثاق على أهل الكتاب ببيان رسالة محمد صلى الله عليه وآله وسلم لأجيالهم.. **Error! Bookmark not defined.**

أخذ العهد على بني إسرائيل بالتباع محمد صلى الله عليه وآله وسلم ونصره ... **Error! Bookmark not defined.**

تذكير الرسل للأمم التي سبقتها بالعهد الذي أخذ عليهم بإتباع نبي هذه الأمة.. **Error! Bookmark not defined.**

ذكر صفات أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم في كتب الأمم السابقة..... **Error! Bookmark not defined.**

ب – تشريف هذه الأمة عند بعثتها ..... **Error! Bookmark not defined.**

التسمية والاجتباء والاختصاص..... **Error! Bookmark not defined.**

تحقق دعوة إبراهيم عليه السلام في محمد صلى الله عليه وآله وسلم **Error! Bookmark not defined.**

أولى الأمم بإبراهيم عليه السلام أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم **Error! Bookmark not defined.**

تغيير نمط الكون عند بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ..... **Error! Bookmark not defined.**

كمال وشمول التشريع الإسلامي وعدم قبول غيره..... **Error! Bookmark not defined.**

هيمنة الشريعة الإسلامية على شرائع كل الرسالات..... **Error! Bookmark not defined.**

شرف هداية الناس إلى الله تعالى ومولى هذه الأمة..... **Error! Bookmark not defined.**

رفع قدر المؤمنين وتشريف لغة العرب..... **Error! Bookmark not defined.**

ج – تشريف أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم يوم القيامة ..... **Error! Bookmark not defined.**

شفاعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لبدء الحساب ..... **Error! Bookmark not defined.**

شهادة أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم على جميع الأمم يوم القيامة..... **Error! Bookmark not defined.**

تكفير سيئات ومضاعفة الحسنات هذه الأمة ومجازاتها بأحسن أعمالها ..... **Error! Bookmark not defined.**

أول الناس دخولا الجنة، ونصف أهلها، وسبعون ألفاً يدخلون الجنة بلا حساب. **Error! Bookmark not defined.**

شفاعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في أمته وإخراج العصاة من النار .... **Error! Bookmark not defined.**

خلاصة المبحث ..... **Error! Bookmark not defined.**

سنن الله تعالى 44

أولا: سنن الله تعالى في أعدائه 45

سنن الله تعالى في المستهزئين 45

سنن الله تعالى في المستكبرين 46

سنن الله تعالى في المشاقين لأنبيائه. 47

سنن الله تعالى في الكافرين 48

تكفر الله تعالى بهزيمة الكفار في الدنيا 49

ب- فرار الكفار عند احتدام القتال 50

أسباب إلحاق الهزيمة بأعداء الله تعالى 50

سنن الله تعالى في المنافقين 51

ثانيا : سنن الله تعالى للمؤمنين 51

موالاة الله تعالى للمؤمنين 51

هداية الله تعالى للمؤمنين 52

نصر الله تعالى للمؤمنين بالملائكة 53

ملازمة النصر للمؤمنين 54

أخذ الله تعالى العهد على نفسه بنصر المؤمنين 55

الاستخلاف والتمكين في الأرض 55
وعد الله تعالى بتوريث الأرض للمؤمنين..... 56
بشارات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم للمؤمنين 57
ثالثا: الحقيقة الأزلية..... 59
المستقبل للإسلام على هذه الأرض..... 59
الهدف الاستراتيجي 65
هدف الأمة الاستراتيجي 66
الغاية من الاستخلاف إقامة شرائع الله تعالى 67
وجوب إقامة شرع الله تعالى على هذه الأرض..... 68
وجوب إقامة أحكام الإسلام على كل الناس 69
نصر الله تعالى مرهون بالسعي لإقامة شرع الله تعالى على الأرض 69
الغاية من الجهاد إقامة شرع الله تعالى 70
التحذير من عدم إقامة شرع الله تعالى أو التنازل عن شيء من أحكامه 72
التحذير من تقديم أي حكم على حكم الله تعالى..... 73
تحذير الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الأمة من عدم إقامة أحكام الله تعالى..... 74
أمثلة على تبني بعض الفرق أهداف مغايرة لهداف الأمة الاستراتيجي 74
التحذير من بغي العلماء 77
ضرورة جعل الهدف الاستراتيجي معيار لكافة التوجهات والانجازات..... 79
تفعيل الهدف الاستراتيجي..... 80
الإسلام لا يتعارض مع العلم..... 83
الحض على العلم والتعلم..... 85
أولا: الإسلام والإنسان 87
المني يحمل جنس الجنين..... 87
أطوار خلق الإنسان..... 87
الرحم قرار مكين للجنين، والجلد مركز الإحساس، ومحدودية بصر الإنسان..... 88

ثانيا: الكون والأرض 89
الخلق من زوجين 89
اتِّساع الكون والبروج والنجوم والشمس والقمر 89
الليل والنهار 91
تكوير الأرض واتزانها بالجبال وظلمة البحار 91
البرزخ والحجر المحجور واللؤلؤ والمرجان 92
الرياح وأنواع السحاب 93
ضرورة الماء للأحياء وتكون الثمار من اليخضور 94
استخلاص اللبن وفوائد العسل والزيتون 94
الإعجاز في خلق الذباب والنمل 95
الأمر بالمحافظة على البيئة من ماء وزرع ودواب وبَهائم وطير 96
خلاصة المبحث 98
أولا: الإيمان بالله تعالى ووحدانيته 101
ثانيا: العلم المطلق لله تعالى 102
ثالثا: الاستقلالية الشخصية 103
رابعا: الإيمان باليوم الآخر 105
خامسا: فتح باب المغفرة 106
خلاصة المبحث 108
أولا: الحض على حسن الخلق 110
الإحسان 112
الصدق 113
الصبر 114
العفو 115
الحِلْمُ والأَنَاة 116
الرفق 116

التواضع 117
الاعتدال في القول مع العصاة 117
الملاطفة ورفع قدر الناس 118
لين الجانب 118
الحَياء 119
غضُّ البصر وأدب التزيُّن 119
ثانيا: النهي عن وسوء الخلق 120
الكذِب 120
ظن السوء 121
الغضب 121
التكبُّر على الناس 122
قذف المحصنات 123
المجاهرة بالمعصية 124
الهجران 124
قول الزّور 125
ذو الوَجهين 125
التجسس 126
الهمز واللمز 126
السخرية 127
الغِيبة 127
النميمة 127
خلاصة المبحث 128
بر الوالدان 130
الإحسان إلى الزوجة 132
الإحسان إلى الأبناء 133

حقوق الجنين 134
الإحسان إلى الأقرباء 134
الإحسان إلى الأرحام..... 135
الميراث والعلاقة الأسرية 136
المرأة والميراث 138
تعدد الزوجات 138
أباحة الطلاق..... 139
وجوب النفقة على المطلقة فترة الحمل وأثناء الرضاعة..... 139
خلاصة المبحث..... 140
توطيد علاقة الغني بالفقير 142
الزكاة 143
الصدقة 144
الكفّارات..... 145
الأضحية..... 146
الميراث..... 146
الصلاة والجمعة والأعياد والحج 146
الصيام..... 147
الاستغناء عن طلب الناس 147
ثانيا: العلاقات العامة..... 147
الأخوة الإيمانية..... 148
التنافس في منفعة الناس 148
الإصلاح بين الناس 149
توقير الكبير ورحمة الصغير 151
التحيَّة وعيادة المريض واتِّباع الجنائز..... 151
الاستئذان والزينة..... 152

النظافة الشخصية..... 153
ثالثا: العلاقة بالأفراد 154
الاعتراف بجميع الرسل 154
الإحسان إلى الخدم 154
الإحسان إلى الجار 155
الإحسان إلى الأرملة واليتيم 156
الإحسان إلى الأطفال واللقطاء 157
الإحسان إلى المساكين وابن السبيل والسائلين وتحرير الأرقاء 158
الإحسان إلى الكفار والمشركون والمعاهدون..... 160
ملخص المبحث 162
رفع قدر الإنسان..... 164
رفع قدر المرأة 165
المساواة بين البشر 166
المساواة بين الرجل والمرأة 167
إقامة العدل..... 168
المحافظة على النفس والعقل 169
المحافظة على الدماء 170
المحافظة على الأموال..... 172
المحافظة على النسل والأعراض 174
النهي عن الظلم 176
النهي عن الفساد 177
الحض على فعل الخير 178
إتقان العمل..... 178
الأمر بالاقتصاد في كل شيء..... 179
تخفيف شرائع الديانات الأخرى 179

خلاصة المبحث 180
أولا: جمع كلمة المسلمين 182
الأمر بجمع كلمة المسلمين وعدم التفرُّق 183
ضرورة الإجماع على أئمة القرون الثلاثة الأُول 183
ثانيا: دعوة الناس إلى دين الله تعالى..... 186
عالمية الإسلام 186
ضرورة تبليغ الدين إلى الناس عامة 188
التحذير من عدم تبليغ الدين..... 189
ثالثا: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر 192
عقوبة ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر 193
شروط تغيير المنكر 195
خلاصة المبحث 197
العداء 200
إعداد كل ما يستطاع من قوة 201
أولا: العلم 201
ثانيا: الموالاة 203
ثالثا: المال 206
رابعا: بذل النفس 207
خامسا: أمور أخرى 208
خلاصة المبحث 209
الخاتمة..... 210

إهداء

أهدي كتابي هذا لكل فرد من أفراد الأمة الإسلامية...
لا أستثني أحداً، وأخص الراغبين لإعلاء شأن أمة الإسلام ...
آملا أن يكون مرتكزاً لهم في بناء شخصيتهم المميزة على الأرض ويدفعهم نحو مستقبلهم وأن يبصرهم بواجباتهم نحو دينهم ويعينهم على الوفاء بها ... آمين.

فؤاد محمود إبراهيم آل محمود

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله ثم الحمد لله ثم الحمد لله كما ينبغي لجلال جماله وجهه ولعظيم سلطانه، عدد خلقه ورضا نفسه ومداد كلماته، عدد ما سبح المسبحون إلى يوم الدين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين وعلى جميع المرسلين عدد ما سبح المسبحون إلى يوم الدين، فأحمده تعالى الذي منّ عليّ بأن جعلني مسلما وجعل والداي مسلمين وأسأله أن يغفر لهما وأن يرفع درجتهما والمسلمين، والحمد لله أن أنشئني في أسرة علم ودين وحبب إلي طاعته، ثم الحمد لله الذي سخر إلي من يعلمني الدين مثل أخي الشيخ الدكتور عبد اللطيف محمود آل محمود الذي له الفضل الكبير، وبقية إخواني وأخواتي الذين لهم الإحسان الكثير، ثم للشيخ محمد عبد الوهاب آل محمود

الذي غمرني بعلمه الوفير، والشكر موصولا لكل من أسدى إلى تعليقا على مسودة هذا الكتاب، ثم الحمد لله تعالى الذي وفقني وحبب إلي الاهتمام بأحوال الأمة، وسخر لي القراءة لبعض علمائها مثل محمد الغزالي والسيد قطب، وأبي الأعلى المودودي، وأبي الحسن الندوي وغيرهم، والحمد لله الذي وهبني زوجة وأبناء صالحين فنعمه تعالى عليّ لا تعد ولا تحصى، وأسأله تعالى التوبة والمغفرة على التقصير، آملا أن يكون هذا الكتاب خالصا لوجهه الكريم وفي سبيله.

فالوحي الأخير لكتابة هذا الكتاب جاء أثناء دراستي ماجستير إدارة الأعمال عام 1999م، ومراد تلك الدراسة وضع أسس ومعايير الإدارة الناجحة ربحية كانت أو غير ربحية، واشتمل تلك الدراسة على التعرف على أسباب تعثر المؤسسات وأسباب نجاحها مرة أخرى، فانصب فكري في النظر بحال الأمة الإسلامية والتي قادت الحضارة الإنسانية لقرون ثم استكانت، فتبادر إلى ذهني هذا سؤال! هل يمكن لهذه الأمة أن تأخذ مكانتها التي ارتضاها تعالى لها مرة أخرى؟

فيرى المتأمل في تاريخ الأمة الإسلامية منذ نشأتها أن الإسلام قد انتشر في المعمورة بسرعة فائقة في القرون الأُول وبصورة لم يعرفها التاريخ، وأنه لقي القبول من الناس الذين وصل إليهم بجميع أجناسهم ولغاتهم ومستوياتهم إذا ما قورن بتاريخ انتشار الديانات والحضارات في العالم، ثم ضعف ذلك الإشراق شيئاً فشيئاً إلى عصرنا حتى تداعت الأمم على هذه الأمة في أرضها وقيمها وأخلاقها وكل أمور حياتها، فإذا أردنا أن نعيد لهذه الأمة نجاحها فلا بد من معرفة عدة أمور، ثوابتها، وهدفها استراتيجي الذي كان يوحِّد صفَّها وتوجُّهها،

وماذا يمكن أن تقدم هذه الأمة للبشرية؟ وما هي الواجبات التي تمكن الأمة من الوصول إلى غايتها؟ ولذا كان لزاماً الإشارة إلى كل ذلك.

إن سرعة انتشار الإسلام له سببان رئيسان، أولهما حرص المسلمين على إيصال الدين للناس أجمعين، والثاني هو قبول الناس لتعاليم الإسلام. فَحِرص المسلمين منبثق من إيمان الأمة بثوابتها وغاياتها وواجباتها. وأول ثوابت الأمة أنها خير أمة أخرجت للناس، حيث بيّن تعالى أنه شرَّفها قبل خلق الخلق، وذلك في علمه تعالى وقضائه وسطَّر ذلك في اللوح المحفوظ وفي كتب الأمم السابقة، كما وشرفها عند أخذ العهد على جميع أنبياء الأمم وأتباعهم بالإيمان ونصر دين هذه الأمة، وشرّفها باستجابة دعوة إبراهيم عليه السلام وتحققها فيها، وأنّهم أولى الناس بإبراهيم مع من آمن به دون بقية الأمم، وشرّفهم تعالى عندما بيّن أن الإسلام هو الدين المرضي عنه، وأنه المهيمن على جميع شرائع الأديان الأخرى، وعندما أكد تعالى أنّه مولاها وهاديها إلى صراطه المستقيم، وأن حملة عرشه تعالى يستغفرون لمن آمن منهم، وأنه لا يبدأ الحساب يوم القيامة إلاَّ بشفاعة نبيّ هذه الأمة صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم، وأنه تعالى سيتَّخذ هذه الأمة شهيدة على جميع الأمم يوم القامة، كما وأرشد تعالى بأنه مجازي هذه الأمة بأحسن أعمالها ومكفراً عنها أسوئها، وأن هذه الأمة أول من يدخل الجنة، ويُشفَّع رسولها صلَّى الله عليه وآله وسلم في إخراج المذنبين منها من النار، ويأذن تعالى لها ولجميع المؤمنين بالنظر إليه في الجنة، وأن ذلك الوسام يلحق بكل من آمن بدينها، فآمن سلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال الحبشي، فأشرنا إلى ذلك كله في المبحث الأول من

الباب الأول، فلا بدَّ لهذه الأمة من الترقّي في هذا الجانب حتى تصل إلى ذلك اليقين لتستلهم من ذلك عزَّها وكرامتها.

أما الثابت والمحفز الثاني للمسلمين في سرعة إيصال الإسلام إلى الناس هو يقين الأمة بأنّ الله عز وجل حتَّم بأن المستقبل على هذه الأرض لا يكون إلا للإسلام، فبيّن تعالى أنه لا يحب الكافرين ولا المنافقين ولا المفسدين في الأرض، بل تكفل سبحانه ببعثرة كل ما ينفقه أعداء هذا الدين من مال ووقت للصد الناس عن دينه، كما وبيّن تعالى أنه متكفلٌ بإلقاء الرعب في قلوب كل من حارب دينها وهزيمتهم، وفي المقابل تكفل تعالى بموالاة المؤمنين وهدايتهم إلى كل ما يصلح شأنهم، وأنه تعالى ناصرهم بجنود من السماء ومضاعفة أعدادهم عند احتدام القتال، وأنه تعالى مظهر وناصر الإسلام على كل دين حتى يبلغ ما بلغ الليل والنهار ويدخل كل بيت، فهو تعالى الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، وأنه تعالى ممكن لهذه الأمة لترث هذه لأرض وكل ما عليها، وهذا ما يغيض الكفار ويجمع كلمتهم للنيل من هذا الدين بقدر ما يستطيعون، والله متم نوره ولو كره الكافرون، فمن الأهمية أن يعرف كل مسلم هذه الحقيقة والتي أشرنا إليها في المبحث الثاني من الباب الأول.

أما السبب الثالث لحرص المسلمين على سرعة إيصال الإسلام إلى الناس أجمعين فينبع من طبيعة هدفهم الاستراتيجي الذي شرعه الله تعالى لهم، والذي يتمثل في لزوم إقامة كامل شرائع الله عز وجل أُصولها وفروعها في جوانب الحياة كلها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعلمية والعملية على هذه الأرض، وأن لا تتفرق الأمة عن ذلك الهدف، ولذلك كان واجبا على كل

فرد من أفراد الأمة وطوائفها تبني ذلك الهدف مرة أخرى لتنطلق الأمة من جديد إلى غايتها، آملا أن يكون الباب الأول زادا لكل مسلم ليستمد منه حيويته لينطلق في هذه الحياة من جديد.

أما أسباب قبول الناس للإسلام والتمسك به حتى بعد أفول هيمنة المسلمين على الأرض هو أن الله تعالى جعل شرائعه رحمة للعالمين لإقامة المجتمع الإنساني الأمثل للبشرية. فليست الغاية من إقامة كامل شرائع الله تعالى على هذه الأرض هدم الحضارة الإنسانية أو إقامة محاكم التفتيش لعلماء الطبيعة كما فعلت الكنيسة بسبب التعارض التام بين الإنجيل والعلوم الطبيعية بسبب التحريف الذي طرأ على كتبهم، فلم يتعارض الإسلام مع العلم، بل حض على التعلم، فللقرآن المعجز كثير من السبق للحقائق العلمية في علوم الطبيعية التي تم التوصل إليها من قبل علماء الطبيعة وغيرهم، فأكد القرآن على أنّ مني الرجل هو المسئول عن ذكوة أو أنوثة الجنين، وتحدث عن أطوار خلق الجنين في الرحم وبيّن أنّ الرحم قرار مكين له، وأشار إلى أنّ الجلد هو مركز الإحساس، وأنّ بصر الإنسان محدود فهو لا يبصر كثيرا من الأشياء، وبيّن أن الخلق من زوجين، وأن الكون في اتساع، وتحدث عن بروج السماء والنجوم، وتحدث عن الشمس والقمر وعن الليل والنهار بتفاصيل كثيرة، وأشار إلى تكوير الأرض، وتحدث عن الجبال وظلمة البحار، وعن البرزخ بين البحار والحجر المحجور بين البحار والأنهار، وتحدث وعن اللؤلؤ والمرجان، وعن الرياح وأنواع السحاب، وبيّن أنّ الماء ضرورة لكل حي، وأشار إلى أهمية اليخضور، وإلى فوائد العسل والزيتون، وتحدث عن بعض الإعجاز في خلق النحل والذباب والنمل، كما ووضع الأسس للمحافظة على البيئة فحث على

عدم الإسراف في استخدام الماء، وعلى العناية بالزرع والدواب ومختلف البهائم والطير والذي تمت الإشارة إليه في المبحث الأول من الباب الثاني.

ومن الأسباب التي أدت إلى قبول الناس لهذا الدين والتمسك به أنه جاء للترقي بالرقابة الذاتية للنفس البشرية عن طريق غرس وتعزيز الإيمان بالله تعالى ووحدانيته، وبتقريره الاستقلالية الشخصية، والإيمان باليوم الآخر، وفتح باب التوبة والمغفرة، ولازالت البشرية بحاجة إلى ذلك كله لدعم حضارتها وتقدمها، فتمت الإشارة إلى ذلك في المبحث الثاني من الباب الثاني.

ومن الأسباب التي أدت إلى قبول الناس الإسلام أنه عمل على الرقي بالأخلاق، فدعا إلى محاسنها كالإحسان والصدق والصبر والعفو والحلم والأناة، والرفق والتواضع، والاعتدال في القول مع العصاة، وملاطفة ورفع قدر الناس، ولين الجانب والحياء، وغض البصر. كما ونهى عن سوء الخلق كالكذب وسوء الظن والغضب والتكبر والقذف والمجاهرة بالمعصية، والهجران وقول الزور، وحض على أن لا يكون الإنسان ذو وجهين، وحرم التجسس والهمز واللمز، والسخرية والغيبة والنميمة وغيرها من سوء الأخلاق، ولا زالت الحضارة البشرية بحاجة إلى كل ذلك، فتمت الإشارة إليه في المبحث الثالث من الباب الثاني.

ومن الأسباب التي أدت إلى قبول الناس الإسلام والتمسك به أنه ارتقى بالعلاقات الأسرية، فشرع بر الوالدين والإحسان إلى الزوجة والأبناء وأعطى حقوقا للجنين، وأمر بالبر بالأقرباء والأرحام، ووطد العلاقة الأسرية بالميراث،

وأباح تعدد الزوجات، وشرع الطلاق والنفقة على أبناء المطلقة، وقد تمت الإشارة إلى ذلك في المبحث الرابع من الباب الثاني.

ومن الأسباب التي أدت إلى قبول الناس لهذا الدين والتمسك به أنه ارتقى بالعلاقات الاجتماعية، فوطد العلاقة بين الغني والفقير بالزكاة والصدقة والكفارات والأضحية والميراث، والصلوات اليومية والجُمع والأعياد والحج والصيام، كما وحث الإسلام على الاعتماد على النفس، وأكد على الأخوة الإيمانية والتنافس في منفعة الآخرين والإصلاح بين الناس، وعلى توقير الكبير ورحمة الصغير، والتحية وعيادة المريض واتباع الجنائز، ووضع قواعد الاستئذان والزينة وحث على النظافة الشخصية، وسن حسن معامله الخدم والجار والأرملة واليتيم والأطفال واللقطاء والمساكين وابن السبيل والكفار والمشركين والمعاهدين، كما وقوى العلاقة بالأفراد فجاء الإسلام معترفا بجميع الرسالات، ولا زالت البشرية بحاجة إلى ذلك كله، ولقد أشير إلى ذلك في المبحث الخامس من الباب الثاني.

ومن الأسباب التي أدت كذلك إلى قبول الناس الإسلام والتمسك به أنّه ارتقى بالشرائع العامة، فشرع إقامة العدل بين جميع الناس والمساواة بينهم دون تميز بسبب الدين أو المعتقد، وجاء للمحافظة على الدين والمال والنفس والعقل والنسل، فحرم الشرك والربا والخمر والزنا، وشرع المساواة بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات، ورفع قدر الإنسان وأمر بفعل الخير وإتقان العمل، ودعا إلى الاقتصاد في الأمر كله، ونهى عن الظلم والفساد، وجاء لتخفيف أحكام شرائع الديانات الأخرى، والذي تمّ الحديث عنه في المبحث السادس من الباب

الثاني، راجيا أن يكون الباب الثاني بضاعته المسلم التي ينبغي أن يقدمها للبشرية.

أما في الباب الثالث فتم استعراض واجبات الأمة لبلوغ هدفها الاستراتيجي والتي انقسمت إلى قسمين، ضروريات أساسية استعرضت في المبحث الأول، ويندرج تحتها العمل على جمع كلمة المسلمين، ودعوة الناس إلى دين الله تعالى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. أما القسم الثاني فهي الضروريات الثانوية والتي تم استعراضها في المبحث الثاني، ويندرج تحتها إعداد كل ما يستطاع من قوة، ومن ركائزها حصر ما تملك الأمة من قوة للمحافظة عليها ولتطويرها وحصر مكامن الضعف لدى الأمة للعمل على تقويتها، وحصر الأخطار الداخلية والخارجية التي تتربص بالأمة للاستعداد لها، كما وتمت الإشارة إلى بعض دعائم القوة كالعلم والموالاة والمال والنفس، وبذلك كله يكون المسلم عل بينة تامة لما ينبغي فعله للمساهمة في إيصال أمته إلى غايتها المنشودة.

الباب الأول

مكانة الأمة ومستقبلها وهدفها الاستراتيجي

المبحث الأول: مكانة الأمة

من الأهمية بمكان أن يعرف كل فرد من أفرد هذه الأمة مكانته عند الله عزَّ وجلَّ ليستعيد عزَّته وكرامته، وليشقَّ طريقه مرَّة أخرى للنهوض بهذه الأمة، فإن الله تعالى جعل هذه الأمة خير الأمم والمثل الأعلى لها بقيم دينها لإقامة المجتمع الأمثل في الأرض، ولقد أعد الله تعالى الكون لاستقبال هذه الأمة، وشرفت هذه الأمة قبل خلق الخلق وعند بعثتها وتشرف يوم القيامة أمام الأمم.

أ – تشريف الأمة قبل بعثتها

خير أمة أخرجت للناس في قضاء الله تعالى وقدره وفي اللوح المحفوظ

عرف الجيل الأول من هذه الأمة مكانتهم عند الله تعالى فاعتزوا به وحده، ولقد شرِّفت أمة الإسلام في كثير من المواضع، فشرفت قبل خلق الخلق وفي موضعين رئيسين، ألا وهما في علم الله تعالى الأزلي والذي كان في قضائه وقدره، والتشريف الثاني في اللوح المحفوظ، فالقضاء والقدر والكتابة في اللوح المحفوظ كانا قبل خلق الخلق ويتبيَّن ذلك مما ورد في صحيح الإمام البخاري عن أبي هريرة عن النبي– صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قال:{ لما قضى الله الخلق كتب عنده فوق عرشه إن رحمتي سبقت غضبي}، فكان القضاء والقدر قبل الكتابة في اللوح المحفوظ، وبيَّن النبي– صلى الله عليه وآله وسلّم– أن الكتابة كانت قبل خلق الخلق، كما جاء في صحيح الإمام البخاري عن عمران بن حصين قال: إني عند النبي– صلى الله عليه وسلم– إذ جاءه قوم من بني تميم فقال:{ اقبلوا البشرى يا بني تميم، قالوا: بشرتنا فأعطنا، فدخل ناس من أهل اليمن فقال: اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ

لم يقبلها بنو تميم، قالوا: قبلنا جئناك لنتفقه في الدين ولنسألك عن أول هذا الأمر ما كان؟ قال:{ كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، ثم خلق السموات والأرض، وكتب في الذكر كل شيء}، ثم أتاني رجل فقال يا عمران أدرك ناقتك فقد ذهبت فانطلقت أطلبها فإذا السراب ينقطع دونها، وايم الله لوددت أنها قد ذهبت ولم أقم}، ومن هذا كله فهمت الأمة معنى قوله تعالى في سورة آل عمرن:{ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ}(11)، فكانت هذه الأمة خير الأمم في قضاء الله سبحانه وتعالى وقدره أولا، ثم سطِّر ذلك في اللوح المحفوظ قبل خلق السماوات والأرض والملائكة والجن والإنس والأمم السابقة من لدن آدم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام إلى قيام الساعة، ولقد قال الرسول– صلى الله عليه وآله وسلم– أن هذه الأمة هي خير الأمم كما ورد في سنن الإمام الترمذي عن بهز بن حكيم عن جده أنه سمع النبي صلى الله عليه و سلم يقول في قوله تعالى:{(كنتم خير أمة أخرجت للناس) قال: إنكم تتمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله}.

ذكر القرآن في الكتب السابقة

وتأكيدا لتلك الخيرية والكرامة التي أرادها الله تعالى لهذه الأمة ذُكر القرآن في كتب جميع الأمم السابقة حيث قال تعالى في سورة الشعراء:{ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ(192) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ(193) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ(194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ(195) **وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الأَوَّلِينَ**(196) أَوَ لَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِيَ إِسْرَائِيلَ}(197)، قال ابن كثير في تفسير

الآيات: يقول تعالى:{ وإن ذكر هذا القرآن والتنويه به لموجود في كتب الأولين المأثورة عن أنبيائهم الذين بشروا به في قديم الدهر، والزبر ههنا هي الكتب، وهي جمع زبور، وكذلك الزبور وهو كتاب داود}.

أخذ العهد على جميع الأمم بالإيمان بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ونصره

ثم أنه تعالى اخذ العهد على جميع النبيين وأتباعهم في الكتب السماوية السابقة بالإيمان بهذا النبي ونصره، وأنه من تولى عن ذلك العهد فهو من الفاسقين، واستنكر تعالى عليهم عصيانهم وكفرهم وابتغائهم ديناً غير دين الإسلام فقال تعالى في سورة آل عمران:{ **وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ** لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ **لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ** قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي **قَالُوا أَقْرَرْنَا** قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنْ الشَّاهِدِينَ(81) **فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**(82) **أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ** وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ}(83).{ هذا إخبار منه تعالى أنه أخذ عهد النبيين وميثاقهم كلهم، بسبب ما أعطاهم ومنَّ به عليهم من الكتاب والحكمة المقتضي للقيام التام بحق الله وتوفيته، أنه إن جاءهم رسول مصدق لما معهم بما بعثوا به من التوحيد والحق والقسط والأصول التي اتفقت عليها الشرائع، أنهم يؤمنون به وينصرونه، فأقرُّوا على ذلك واعترفوا والتزموا وأشهدهم وشهَّد عليهم وتوعد من خالف هذا الميثاق... وعموم ذلك أنه تعالى أخذ الميثاق علهم أجمعين بالإيمان بمحمد صلّى الله عليه وسلم ونصره. فمن ادَّعى أنه من أتباعهم فهذا هو العهد الذي أخذه الله عليهم وأقرُّوا به واعترفوا، فمن تولّى عن إتِّباع محمد صلى الله عليه وآله وسلم

فإنه فاسق خارج عن طاعة الله مكذِّبٌ لرسوله ومخالف لمنهجه. وفي هذا إقامة الحجة والبرهان على كل من لم يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم من أهل الكتب والأديان السابقة. وأنه لا يمكنهم الإيمان برسلهم الذين يزعمون أنهم من أتباعهم حتى يؤمنوا بإمامهم وخاتمهم صلى الله عليه وسلم}، ففي هذه الآية إجمال للعهود التي أخذها الله سبحانه وتعالى على جميع النبيين من لدن نوح إلى عيسى ابن مريم عليهم السلام.

أخذ الميثاق على أهل الكتاب ببيان رسالة محمد صلى الله عليه وآله وسلم لأجيالهم

بل إن الله عز وجل أخذ الميثاق على أتباع جميع الرسل ببيان ذلك العهد وعدم كتمانه فقال تعالى في سورة آل عمران:{ وَإِذَ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ **لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ** فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْاْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ}(187)، قال السعدي في تفسيره:{ هذا توبيخ من الله وتهديد لأهل الكتاب الذين أخذ الله تعالى عليهم العهد على ألسنة الأنبياء أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم، وأن ينوهوا بذكره في الناس، ليكونوا على أهبة من أمرهم، فإذا أرسله الله تابعوه، فكتموا ذلك وتعوضوا عما وعدوا عليه من الخير في الدنيا والآخرة بالدون الطفيف، والحظ الدنيوي السخيف، فبئست الصفقة صفقتهم، وبئست البيعة بيعتهم}.

أخذ العهد على بني إسرائيل بالتباع محمد صلى الله عليه وآله وسلم ونصره

ثم إن الله تعالى فصَّل بعض تلك العهود التي أخذها على تلك الأمم، فعلى جبل الطور وبعد أن اختار موسى عليه السلام سبعين رجلا من خيار بني إسرائيل ليعتذروا لله عز وجل عن عبادتهم العجل، فأمرهم بإتباع محمد صلّى الله عليه وآله سلم وبيّن بعض صفاته فقال تعالى في سورة الأعراف:{ وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمْ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ(155) وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ(156) **الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ** يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنْ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمْ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمْ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ **فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ**}(157). قال ابن كثير في تفسيره:{ صفة محمد صلّى الله عليه وسلم في كتب الأنبياء فبشروا أممهم ببعثته وأمروهم بمتابعته ولم تزل صفاته موجودة في كتبهم يعرفها علماؤهم وأحبارهم}.

تذكير الرسل للأمم التي سبقتها بالعهد الذي أخذ عليهم بإتباع نبي هذه الأمة

فرغم أن العهد والميثاق قد أخذ على موسى عليه السلام وعلى بني إسرائيل، إلا أن عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام ذكَّر بني إسرائيل بالعهد الذي أخذ عليهم في محمد صلى الله عليه وسلم وأمته، ويتبيّن من هذا أن الرسل تُذَكِّر بعضها برسالة محمد صلى الله عليه وسلم لتتهيأ لاستقباله فقال تعالى في سورة الصف:{ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ **وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ** فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُواْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ}(6). فتكذيب الرسل عليهم السلام هو شأن بني إسرائيل على مر الزمان.

ذكر صفات أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم في كتب الأمم السابقة

ولم يقتصر ذكر هذه الأمة عند بقية الأمم كأمة، بل أورد سبحانه صفات هذه الأمة في الكتب السابقة وبصور مختلفة، فأورد بعض صفات هذه الأمة في التوراة وبعضها في الإنجيل فقال تعالى في سورة الفتح:{ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلا مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ **ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ....**}(29)، فتلك هي صفات أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم التي وردت في التوراة والتي أنزلت على موسى عليه السلام، أما صفات هذه الأمة التي وردت في الإنجيل في نفس الآية من سورة الفتح:{....**وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ** كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمْ

الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا}(29)، كل ذلك حتى لا يكون هناك عذرٌ لليهود ولا للنصارى في إتباع دين محمد- صلى الله عليه وآله وسلم-.

ب - تشريف هذه الأمة عند بعثتها

التسمية والاجتباء والاختصاص

عَلِمَ الرعيل الأول من هذه الأمة أن لهم شأنا عظيما عند الله تعالى وكذلك في هذه الحياة، فقد شرفهم تعالى بأن سمّاهم المسلمين واجتباهم وخصَّهم بهذه الرسالة دون سائر الأمم حيث قال تعالى في سورة الحج:{ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ **هُوَ اجْتَبَاكُمْ** وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ **هُوَ سَمَّاكُمُ** الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَـٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُواْ بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاَكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ}(78)، والاجتباء هو الاصطفاء، فهو تعالى الذي اصطفي هذه الأمة للقيام بأعباء دينه، وقد اختصهم بذلك كما في قوله تعالى في سورة البقرة:{ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ **وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ** وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيم}(105)، فخُصَّت هذه الأمة دون سائر الأمم بهذا الدين رحمة ولطفا ومنَّاً منه جل وعلا وذلك من فضله العظيم، ومثل ذلك في قوله تعالى في سورة آل عمران:{ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ(72) وَلا تُؤْمِنُوا إِلا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ **إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ** أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ

رَبِّكُمْ **قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ** وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ(73) **يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ** مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ}(74).

تحقق دعوة إبراهيم عليه السلام في محمد صلى الله عليه وآله وسلم

ولقد تحققت دعوة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام وإسماعيل لهذه الأمة في قوله تعالى في سورة البقرة:{ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ(127) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ(128) **رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ**}(129)، فكان من الممكن أن تستجاب الدعوة في أحد أبناء إبراهيم عليه السلام مثل إسماعيل أو إسحاق أو يعقوب أو يوسف أو يحيى أو زكريا أو موسى أو عيسى عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام، ولكن الله تعالى أرادها أن تكون في محمد– صلى الله عليه وآله وسلم– وأمته كما في قوله تعالى في سورة آل عمران:{ **هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ**(2) **وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ** وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ(3) **ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ** وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ}(4).

أولى الأمم بإبراهيم عليه السلام أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم

بل إن الله تعالى أكد على أن هذه الأمة هي أولى الناس بإبراهيم عليه السلام مع من آمن به من قومه دون سائر الأمم، ولقد ادعى اليهود والنصارى

أنه منهم فرد تعالى عليهم فقال في سورة آل عمران:{ يأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِـي إِبْـرَاهِيمَ وَمَـآ أُنزِلَـتِ التَّـورَاةُ وَالإِنْـجِيـلُ إِلاَّ مِـن بَعْـدِهِ أَفَـلاَ تَعْقِلُـونَ(65) هـأَنْتُمْ هَؤُلاءِ حَـاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ(66) **مَـا كَـانَ إِبْـرَاهِيمُ يَهُودِيّـاً وَلاَ نَصْـرَانِيّاً وَلَكِـن كَـانَ حَنِيفـاً مُّسْـلِماً وَمَـا كَـانَ مِـنَ الْمُشْـرِكِينَ**(67) **إِنَّ أَوْلَـى النَّـاسِ بِـإِبْرَاهِيمَ لَلَّـذِينَ اتَّبَعُـوهُ وَهَـذَا النَّـبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ** وَاللَّهُ وَلِـيُّ الْمُؤْمِنِينَ}(68).

تغيير نمط الكون عند بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم

ولقد أحدث الله تعالى تغييرات في هذا الكون عند بعثة رسول هذه الأمة، فلقد منعت الجن من استراق السمع الذي يدور بين الملائكة قبل نزوله من السماوات كما بين ذلك سبحانه على لسانهم عندما قالوا في سورة الجن:{ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَآءَ **فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَشُهُباً**(8) وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ **فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَّصَداً**(9) وَأَنَّا لاَ نَدْرِيَ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدا}(10)، وكما قال تعالى:{ **إنهم عن السمع لمعزولون**}(212)، فلما بُعِثَ النبي محمد– صلى الله عليه وآله وسلم– مُنِعَ الجن من السماوات كلها، وحُرست بالملائكة والشهب، وأن الله سبحانه وتعالى أحدث هذا التغيير إيذانا ببعثة خير رسله لخير أمة على وجه هذه الأرض، وهذا تشريفٌ عظيمٌ لهذا الرسول العظيم ولأمته بتغير نمط نزول الأمر من السماء إلى الأرض.

كمال وشمول التشريع الإسلامي وعدم قبول غيره

فما ترك الله سبحانه وتعالى موطناً لتشريف هذه الأمة إلا وشرفها به، فلم يدع سبحانه مجالاً للشك أو للريبة ولا مدخلاً لأي من الإنس أو الجن لينال من هذا التشريف العظيم، فشرَّف تعالى دين هذه الأمة على جميع الأديان، فأكمل لها دينها وأتم نعمته عليها ورضي لها هذا الدين، فلقد احتوى الإسلام على كل ما تحتاج إليه البشرية من أحكام وتشريعات إلى قيام الساعة، ولم يكن كغيره من الرسالات التي يهيمن عليها ما جاء بعدها، ولم يجعلها تبعا لغيرها من الأمم فقال تعالى في سورة المائدة:{ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ والدَّمُ ولَحْمُ الْخِنْزِيرِ ومَا أُهِلَّ لِغَيرِ الله بِهِ والْمُنْخَنِقَةُ والْمَوْقُوذَةُ والْمُتَرَدِّيَةُ والنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النصُبِ وأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالأَزْلام ذلكم فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ **اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينا** فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لإِثم فَإِنَّ الله غَفُورٌ رَحِيمٌ }(3).

ولقد علمت هذه الأمة أن الدين الإسلامي هو دين جميع النبيين وهو الوحيد الذي لا يقبل الله تعالى غيره بعد بعثة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فقد قال تعالى في سورة آل عمران:{ **إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ الله الإِسْلاَمُ** وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَات الله فَإِنَّ الله سَرِيعُ الحِسَابِ}(19)، وأنه تعالى وتقدست أسماؤه لا يقبل ولا يرضى دينا بعد بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم غير هذا الدين، كما قال ابن كثير في تفسيره{ فمن لقي الله بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم بدين

على غير شريعته فليس بمتقبل}، وكما قال تعالى في سورة آل عمران:{ **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ** وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ}(85).

هيمنة الشريعة الإسلامية على شرائع كل الرسالات

كما أن صَدْرَ هذه الأمة كانوا على يقين بأن الدين الذي منحهم الله تعالى هو المهيمن على بقية الأديان السماوية لما احتواه من تشريعات شاملة عجز البشر عن الوصول إلى مثلها، فشملت تلك التشريعات جميع نواحي الحياة، سواء الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية وإلى قيام الساعة كما سنبيّن في الباب الثاني، فسعدت البشرية بهم حيث قال تعالى في سورة المائدة:{ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ **مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ** فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنْ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ}(48)، ولو أنّ موسى وعيسى عليهم السلام كانا حيّين لما وسعهما إلا اتباع محمد– صلى الله عليه وآله وسلم– لما ورد في مسند الإمام أحمد عن عبدالله بن ثابت قال: جاء عمر– رضي الله عنه– بشيء من التوراة فقال: يا رسول الله، إني مررت بأخ لي من قريظة فكتب لي جوامع من التوراة، ألا أعرضها عليك؟ قال، فتغير وجه رسول الله، قال عبد الله بن ثابت، قلت له: ألا ترى ما بوجه رسول الله؟ فقال عمر: رضينا بالله رباً، بالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً، قال: فسري عن النبي وقال:{ والذي نفس محمد بيده لو أصبح فيكم موسى عليه السلام، ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم، إنكم حظّي من الأمم وأنا

حظُّكم من النبيـّين}، وفي حديث آخر في مسند الإمام أحمد عن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله– صلى الله عليه وسلم–:{ لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا فإنكم إما أن تصدقوا بباطل أو تكذبوا بحق فإنه لو كان موسى حياً بين أظهركم ما حلَّ له إلا أن يتبعني}.

شرف هداية الناس إلى الله تعالى ومولى هذه الأمة

لم تكن هذه الأمة على أدنى شك في أنَّها شرفت بهداية الناس إلى صراط الله المستقيم كما قال تعالى في سورة الشورى:{ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا **وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**(52) صِرَاطِ اللهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّموَاتِ ومَا فِي الأَرْضِ أَلا إِلَى اللهِ تَصِيرُ الأُمُورُ}(53)، وأن الله سبحانه وتعالى هو وليُّ جميع المؤمنين، كما وتكفّل بإخراجها من الظلمات إلى النور كما قال سبحانه في سورة البقرة:{ **اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُمْ مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ** وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}(257)، والولي كما ورد في تهذيب الأسماء واللغات عن الإمام أبي السعادات المبارك بن محمد بن عبد الكريم الجزري:{ هو الرب والمالك والسيد والمنعم والمعتق والناصر والمحب والتابع والجار وابن العم والحليف والعقيد والصهر والعبد والمنعم عليه والمعتق. وكل من ولي أمراً أو قام به فهو مولاه ووليه. فالله هو رب هذه الأمة ومالك أمرها وسيدها الذي يهديها والمنعم عليها بكل نعمه ومعتقها من النار وناصرها ومحبها ومؤيدها}. كما وتيقنت هذه الأمة أن العزة في هذه الدنيا لها بتقرير الله

سبحانه وتعالى حيث قال تعالى في سورة المنافقون:{ يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ **وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ** وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ}(8)، والمُعِزُّ كما ورد في قاموس لسان العرب:{ من أَسمائه عزّ وجلّ وهو الذي يَهَبُ العِزَّ لمن يشاء من عباده. والعِزُّ: خلاف الذُّلِّ. وفي الحديث: قال لعائشة: هل تَدْرِينَ لِمَ كان قومُك رفعوا باب الكعبة؟ قالت: لا، قال: تَعَزُّزاً أَن لا يدخلها إِلا من أَرادوا}. فيستشف من ذلك أن العزة المطلقة لله سبحانه وتعالى، ثم جعلها سبحانه لرسوله- صلى الله عليه وآله وسلم- وللمؤمنين وهذه الأمة في هذه الحياة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

رفع قدر المؤمنين وتشريف لغة العرب

ثم إن الله تعالى رفع قدر المؤمنين وعظّمهم وجرّم قتلهم وجعل ذلك من أعظم الحرمات حيث قال في سورة النساء:{ **وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا**}(93)، وقيل في معناه في تفسير الجلالين عن ابن عباس:{ أنها على ظاهرها وأنها ناسخة لغيرها من آيات المغفرة}، وقال السعدي في تفسير:{ تقدم أن الله أخبر أنه لا يصدر قتل المؤمن من المؤمن، وأن القتل من الكفر العملي. وذكر هنا، وعيد القاتل عمداً، وعيداً ترجف له القلوب، وتتصدع له الأفئدة، وينزعج منه أولو العقل. فلم يرد في أنواع الكبائر، أعظم من هذا الوعيد، بل ولا مثله. ألا: وهو الإخبار، بأن جزاءه جهنم. أي: فهذا الذنب العظيم، قد انتهض وحده، أن يجازى صاحبه بجهنم، بما فيها من العذاب العظيم، والخزي المهين، وسخط

الجبار وفوات الفوز والفلاح، وحصول الخيبة والخسار. فعياذاً بالله، من كل سبب يبعد عن رحمته. وهذا الوعيد، له حكم أمثاله من نصوص الوعيد، على بعض الكبائر والمعاصي، بالخلود في النار، أو حرمان الجنة. فتدل هذه الآية على عظم شأن النفس المؤمنة وشرفها عند الله سبحانه وتعلى و قتل النفس المؤمنة فيها هدم للإله إلا الله ولذلك جزم الله تعالى فقال في سورة النساء:(مَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا)}، ويؤيد ذلك ما ورد في سنن الإمام الترمذي عن عبدالله بن عمرو أنّ النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- قال:{ لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ}.

ومن عظم قدر المؤمنين عند الله سبحانه وتعالى أنه سخّر حملة عرشه وهم أقرب المقربين إليه بالاستغفار لهم ولمن تاب وتبع سبيل الله تعالى، ووعد بوقايتهم من عذاب الجحيم كما ويدعون لهم بدخولهم جنات عدن، وأن يشمل معهم من صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم لتقر أعينهم، كما ويدعون لهم بتكفير كل سيئاتهم، فما أعظمه من تشريف وما أعظمها من منزلة حيث قال تعالى في سورة غافر:{ **الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ ومَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحمْدِ رَبِّهِمْ ويُؤْمِنُونَ بِهِ ويَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وعِلْما فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا واتَّبَعُوا سَبِيلِكَ وقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ(7) رَبَّنَا وأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ ومَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وأَزْوَاجِهِمْ وذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ(8) وقِهِمْ السَّيِّئَاتِ ومَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحْمَتَهُ وذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**}(9)، كما وشرّف الله تعالى المسلم في عبادته له بالصلوات الخمس على بقية الديانات، فالمسلم يلقى ربه ما لا يقل عن خمس مرات في

اليوم والليلة عند كل صلاة فرض ويمكن له أن يزيد من صلته بربه إذا صلى الصلوات المستحبة وفي كل صلاة نافلة، فيا له من شرف عظيم للمؤمنين ولهذه الأمة.

ومما امتازت به هذه الأمة أنه سبحانه وتعالى شرّف اللغة التي نزل بها القرآن الكريم وكذلك الأمة التي نزل عليها وهي لغة العرب فضلا منه ومِنَّة فقال تعالى في سورة يوسف:{ الر تلك آيات الكتاب المبين(1) إنا أنزلناه **قرآنا عربيا** لعلكم تعقلون}(2)، وقيل عن اللغة العربية في تفسير ابن كثير :{ أنها أفصح اللغات وأبينها وأوسعها وأكثرها تأدية للمعاني التي تقوم بالنفوس، فلهذا أنزل أشرف الكتب بأشرف اللغات على أشرف الرسل بسفارة أشرف الملائكة وكان ذلك في أشرف بقاع الأرض وابتداء إنزاله في أشرف شهور السنة، وهو رمضان فكمل من كل الوجوه}، ثم خاطبهم مرة أخر قائلا في سورة الأنبياء:{ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلا تَعْقِلُونَ}(10)، (أي فيه شرفكم). وسمي القرآن(حكما عربيا) و(لسانا عربيا) تشريفا لهذه الأمة ومنَّته عليهم.

ج – تشريف أمة محمد– صلى الله عليه وآله وسلم– يوم القيامة

شفاعة الرسول– صلى الله عليه وآله وسلم– لبدء الحساب

تيقنت هذه الأمة بمكانتها وعزّها وكرامتها عند الله تعالى وأن ذلك التشريف يمتد إلى يوم القيامة وإلى الخلود في الجنان، وأول ذلك شفاعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لبدء الحساب وهو المقام المحمود في قوله تعالى في سورة الإسراء:{ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ

مَقَاماً مَّحْمُوداً}(79)، وكما ورد في صحيح الإمام البخاري عن ابن عمر أنه قال: قال- صلى الله عليه وآله وسلم-:{ إن الناس يصيرون يوم القيامة جُثاً، كل أمة تتبع نبيَّها تقول: يا فلان اشفع، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم، فذلك يوم يبعثه الله المقامَ المحمود}، ورسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- سيد ولد آدم كما جاء في صحيح الإمام مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-:{ أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع}، وقال النقاش:{ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث شفاعات: العامة، وشفاعة في السبق إلى الجنة، وشفاعة في أهل الكبائر}، وكل تشريف يشرَّف به- صلى الله عليه وآله وسلم- هو تشريفا لأمته، حيث يقرُّ جميع الأنبياء والرسل أمام أممهم أن المقام المحمود لرسول هذه الأمة دون غيره- صلى الله عليه وآله وسلم- ليبدأ الحساب.

شهادة أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم على جميع الأمم يوم القيامة

ثم إن هذه الأمة تشرف يوم القيامة فيجعلها الله تعالى شهيدة على كل الأمم كما قال تعالى في سورة البقرة:{ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً **لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ** وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللّهُ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ}(143)،(وأما الوسط كما ورد في تفسير الطبري: الخيار، يقال منه: فلان وسط الحسب في قومه: أي متوسط الحسب، إذا أرادوا بذلك الرفع في حسبه). وقوله تعالى:{ لّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ} أي لتكون أمة محمد-

صلى الله عليه وسلم- شهداء على جميع الأمم بأن الرسل قد بلغوا رسالات ربهم، كما ويشهدون كذلك على الأمم التي لم تدخل في الإسلام بعد بعثته- صلى الله عليه وسلم-. وكما ورد في سنن الترمذي عن أبي سعيد قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-:{ يدعى نوح فيقال هل بلَّغت؟ فيقول: نعم، فيدعى قومه فيقال هل بلَّغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير وما أتانا من أحد فيقول: من شهودك؟ فيقول: محمد وأمته، قال: فيؤتى بكم تشهدون أنه قد بلَّغ، فذلك قول الله" كذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا"، وذكر ابن المبارك هذا الحديث مطوّلاً بمعناه، وفيه:{ فتقول تلك الأمم كيف يَشهد علينا مَن لم يُدركنا فيقول لهم الربّ سبحانه! كيف تشهدون على مَن لم تُدركوا فيقولون: ربَّنا بعثت إلينا رسولاً وأنزلت إلينا عهدك وكتابك وقصصتَ علينا أنهم قد بلّغوا فشَهدنا بما عَهِدتَ إلينا فيقول الربُّ: صدقوا فذلك قوله عزّ وجلّ (وكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكم شَهِيداً)}.

تكفير سيئات ومضاعفة الحسنات هذه الأمة ومجازاتها بأحسن أعمالها

ثم تشريف هذه الأمة يوم القيامة بتكفير سيئاتها ومجازاتها بأحسن أعمالها ومضاعفة حسناتها كما قال تعالى في سورة الزمر:{ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَئِكَ هُمْ الْمُتَّقُونَ(33) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ(34) **لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ**}(35)، وكما قال تعالى في سورة العنكبوت:{ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ **لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُواْ**

يَعْمَلُونَ}(7)، وقوله تعالى في سورة النور:{ **لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُمْ مِّن فَضْلِهِ** وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ}(38). أما عن مضاعفة الحسنات كما ورد في صحيح الإمام البخاري عن سالم بن عبد الله عن أبيه أنّ رسول الله- صلى الله عليه وسلم قال:{ إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس، أوتي أهل التوراة التوارة فعملوا حتى إذا انتصف النهار ثم عجزوا فأعطوا قيراطاً قيراطاً، ثم أوتي أهل الإنجيل فعملوا إلى صلاة العصر ثم عجزوا فأعطوا قيراطاً قيراطاً، ثم أوتينا القرآن فعملنا إلى غروب الشمس فأعطينا قيراطين قيراطين فقال أهل الكاتبين: أي ربنا لم أعطيت هؤلاء قيراطين قيراطين وأعطيتنا قيراطاً قيراطاً ونحن كنا أكثر عملاً منهم؟ قال الله تعالى: هل ظلمتكم من أجوركم من شيء؟ قالوا: لا، قال: فهو فضلي أوتيه من أشاء}.

أول الناس دخولا الجنة، ونصف أهلها، وسبعون ألفاً يدخلون الجنة بلا حساب

ثم إن هذه الأمة تكون أول الناس دخولا الجنة ونصف أهلها منها ومنهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة لا حسابَ عليهم ولا عذاب، كما جاء في صحيح الأمام مسلم عن أبي هريرة قال: قال: رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم-:{ نحن الآخرون الأولون يوم القيامة ونحن أول من يدخل الجنة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم فاختلفوا فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه هدانا الله له قال يوم الجمعة فاليوم لنا وغدا لليهود وبعد غد للنصارى}. وكما ورد في صحيح الإمام البخاري عن أبي سعيد

الخدري قال: قال النبي- صلى الله عليه وسلم-:{ يقول الله يوم القيامة: يا آدم فيقول: لبيك ربنا وسعديك، فينادى بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا إلى النار، قال: يا رب وما بعث النار؟ قال: من كل ألف أراه قال تسعمائة وتسعة وتسعين، فحينئذ تضع الحامل حملها ويشيب الوليد وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد، فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعين ومنكم واحد، ثم أنتم في الناس كالشعرة السوداء في جنب الثور الأبيض أو كالشعرة البيضاء في جنب الثور الأسود وإني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة، فكبرنا، ثم قال: ثلث أهل الجنة، فكبرنا، ثم قال: شطر أهل الجنة، فكبرنا}. وأنّ سبعون ألفا من هذه الأمة تدخل الجنة من غير حساب كما ورد في صحيح الإمام البخاري عن ابن عباس- رضي الله عنهما- قال: خرج علينا النبي صلى الله عليه وسلم يوما فقال:{ عُرِضَتْ عليَّ الأمم فجعل يمرُّ النبي معه الرَّجل والنبي معه الرَّجلان والنبي معه الرهط والنبي ليس معه أحد، ورأيت سواداً كثيراً سد الأفق فرجوت أن يكون أمتي فقيل هذا موسى وقومه ثم قيل لي انظر فرأيت سوادا كثيرا سدَّ الأفق فقيل لي: انظر هكذا وهكذا فرأيت سواداً كثيرا سدَّ الأفق فقيل: هؤلاء أمتك ومع هؤلاء سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب فتفرَّق الناس ولم يبيّن لهم، فتذاكر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: أما نحن فولدنا في الشِّرك ولكنا آمنا بالله ورسوله ولكن هؤلاء هم أبناؤنا، فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال: هم الذين لا يتطيَّرون ولا يسترقُون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون، فقام عكاشة بن محصن فقال: أمنهم

أنا يا رسول الله؟ قال نعم، فقام آخر فقال: أمنهم أنا؟ فقال: سبقك بها عكاشة .}

شفاعة الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- لإخراج العصاة من أمته من النار

ثم إن رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- يشفع في أمته فيخرج العصاة من أمته من النار بعد مكوثهم فيها كما جاء في صحيح الإمام البخاري عن معبد بن هلال العنزي قال: اجتمع رهط من أهل البصرة وأنا فيهم فأتينا أنس بن مالك وشفعنا إليه بثابت البناني، فدخلنا عليه، فأجلس ثابتاً معه على السرير، فقلت: لا تسألوه شيئا غير هذا الحديث. فقال ثابت: يا أبا حمزة، إخوانك من أهل البصرة جاؤوا يسألونك عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشفاعة، فقال: حدثنا محمد صلى الله عليه وسلم قال:{ إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم في بعض، فيؤتى آدم فيقولون: يا آدم اشفع لذريتك، فيقول لست لها، ولكن ائتوا إبراهيم فإنه خليل الله، فيؤتى إبراهيم فيقول: لست لها، و لكن عليكم بموسى فإنه كليم الله، فيؤتى موسى صفوة الله فيقول: لست لها، ولكن عليكم بعيسى فإنه روح الله وكلمته فيؤتى عيسى فيقول: لست لها، ولكن عليكم بمحمد صلى الله عليه وسلم فأوتى، فأقول: أنا لها. فأنطلق فأستأذن على ربي فيؤذن لي عليه، فأقوم بين يديه مقاماً، فيلهمني فيه محامد لا أقدر عليها الآن، فأحمده بتلك المحامد، ثم أخر له ساجداً فيقال لي: يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعط واشفع تشفع، فأقول: أي رب أمتي أمتي! فيقال لي: انطلق فمن كان في قلبه مثقال برة، أو مثقال شعيرة من

إيمان فأخرجه، فأنطلق فأفعل، ثم أعود فأحمده بتلك المحامد فأخر له ساجداً فيقال: يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع وسل تعط واشفع تشفع فأقول: أي رب أمتي أمتي! فيقال لي: انطلق فمن كان في قلبه مثقال ذرة أو مثقال خردلة من إيمان فأخرجه منها، فأنطلق فأفعل، ثم ارجع فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجداً فيقال: يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعط واشفع تشفع فأقول: أي رب أمتي أمتي! فيقال لي: انطلق فمن كان في قلبه أدنى أدنى من مثقال حبة خردل من إيمان فأخرجه من النار، من النار، من النار}، وتكملة الحديث كما ورد في السنن الكبرى للإمام البيهقي عن معبد بن هلال العنزي قال:{ أتيت أنس بن مالك رضي الله عنه في رهط من أهل البصرة، و سماهم لنا، نسأله عن حديث الشفاعة، فذكر الحديث بطوله في سؤاله وجوابه وخروجهم من عنده ودخولهم على الحسن بن أبي الحسن البصري، قال الحسن: حدثني كما حدثكم، قال: ثم قال: يعني النبي صلى الله عليه و سلم: فأجيء في الرابعة فأحمده بتلك المحامد، ثم أخر له ساجدا، فيقال لي: يا محمد، ارفع رأسك قل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع فأقول: يا رب ائذن لي فيمن قال لا إله إلا الله، فيقول: ليس ذلك إليك، ولكني وعزتي وكبريائي وعظمتي، لأخرجن منها من قال: لا إله إلا الله }، وكما ورد في صحيح الإمام بن حبان عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول الله في إبراهيم:(رب إِنَّهُنَّ أضللن كثيراً من الناس فمن تبعني فإنه مِنِّي) وقال عيسى عليه السلام:(إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم) فرفع يديه وقال: اللهم أمتي أمتي وبكى فقال الله: يا جبريل اذهب إلى محمد وربُّك أعلم فسله ما يبكيك؟ فأتاه جبريل صلى الله عليه وسلم

فسأله، فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال وهو أعلم فقال الله يا جبريل: اذهب إلى محمد فقل إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك}.

ثم الشرف العظيم الذي يشرَّف المؤمنون وهذه الأمة ألا وهي لذة النظر إلى الله تعالى في الجنة، كما ورد في صحيح الإمام البخاري عن أبي هريرة أنّ الناس قالوا للنبي- صلى الله عليه وسلم- هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال النبي- صلى الله عليه وسلم-:{ هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: فهل تمارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا، قال: فإنكم ترونه كذلك }.

خلاصة المبحث

فهذه مكانة هذه الأمة عند الله تعالى، التي آمن بها الأولون فينبغي لكل مسلم أن يكون على يقين من أنه ينتمي إلى خير أمة أخرجها الله تعالى للناس أجمعين وذلك لبناء الشخصية المتميزة في هذه الحياة ليرفع على هذه الحقيقة منهجه في هذه الدنيا مذ يوم التكليف إلى أن تسلم الأمانة إلى بارئها، ولذا فلا يمكن للمسلم أن يكون تبعا لغيره ولا لأي ناعق في هذا الكون مهما كان شأنه ولا ينبغي للمسلم كذلك أن تتمايله الرياح حيث شاءت يمنة ويسرة، فعليه أن يستشعر المكانة العالية والشرف العظيم اللذين جعلهما الله عز وجل له ولأمته، فعلى كل مسلم أن يترجم هذا التشريف إلى أفعال تتناسب مع مكانته في هذه الدنيا وعليه أن يراجع نفسه في اتخاذ أي خطوة يخطوها ليجعل من كل تصرفاته ما يتناسب مع هذه المنزلة العظيمة التي حظي بها، فهذه الأمة كتب لها أن تعيش قائدة ترسم الطريق الصحيح للبشرية جمعاء لما تملك من قيم

ومعايير تصحح بهم كل معوج وتهدي كل ضال وتبدد كل ظلمة مستلهمة نهجها من نور الله سبحانه وتعالى ومن هدي نبيها محمد صلى الله عليه وسلم إلى أن يتحقق وعد الله سبحانه لهذه الأمة في قوله تعالى في سورة الصف:{ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُون}(9)، وتتحقق بشرى سيدنا محمد- صلى الله عليه وآله وسلم- كما ورد في مسند الإمام أحمد عن تميم الداري قال: سمعت رسول الله- صلى الله عليه وسلم يقول:{ ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام وذلاً يذل الله به الكفر}.

ومن الأهمية بمكان أن يكون لهذا التشريف مدلولات وآثار على واقع هذه الأمة، فلكل مسلم حرمة عظيمة عند الله تعالى، فلا ينبغي تحقير أو الاستخفاف بأي فرد من أفرادها، بل ينبغي على كل فرد أن يأخذ بيد غيره ويرفع من قدره وشأنه، فهذا الاحترام يجب أن يكون متبادلا بين أفراد الأمة وعلى جميع المستويات، وعلى الآباء والأمهات والدعاة والمربين والمهتمين برفع شأن هذه الأمة غرس هذه المفاهيم في إيمان كل فرد من أفرادها يحمله الأبناء عن الآباء، وإنتاج كافة أنواع البرامج المسموعة والمقروءة والمرئية والمسابقات لجميع فئات المجتمع حول هذه التشريفات حتى ترسخ هذه المفاهيم في نفوس كل فئات الأمة صغارها وكبارها، ذكورها وإناثها حتى نهيّئ هذه الأمة لخلق القيادات المستقبلية للقيام بواجباتها وحتى لا تهين هذه الأمة في نفسها ولا يعتريها الذل والخذلان مهما كانت الخطوب والمحن، فإن الله سبحانه وتعالى أراد من كل مسلم أن يعيش معتزا به، وأن هذه هي المكانة التي

ارتضاها الله سبحانه وتعالى له ولأمته فلا يقبل أي بديل عنها، وأن يستفاد من ذلك تصحيح مفاهيم المحبطين والغارقين في المعاصي فتأخذ هذه الأمة بيد بعضها نحو التقدم والبذل والعطاء وفي كل المجالات الأخرى، ثم يبقى هذا التشريف مفتوحا لكل إنسان يريد أن ينضم إلى هذه الأمة دون أي تمييز، فلله الحمد والشكر والمنة.

الباب الأول

المبحث الثاني: المستقبل لهذا الدين

أما الدافع الثاني لحرص المسلمين على سرعة إيصال الإسلام إلى الناس هو يقينهم أن الله عز وجل حتَّم بأن المستقبل على هذه الأرض لا يكون إلا للإسلام، فإن لله تعالى سننا معلومة في جميع أصناف خلقه في هذه الدنيا وردت في كتاب الله عز وجل، فمن سننه تعالى إمهاله المستهزئين بدينه وبرسله ثم إهلاكهم، وأنه منتقم من المستكبرين وسالبٌ نعمه عنهم، أما المشاقُّون لرسله فإنه يتركهم في ضلالهم ليخزيهم يوم القيامة، ومن سننه في المصرِّين على الكفر والمستفزِّين لأنبيائه والمؤمنين أن لهم العذاب الأليم في الدنيا والآخرة، ومن سننه تعالى في الكافرين فإنه مبدد كل ما ينفقونه من أموال وأعمال ثم يغلبهم المؤمنون وإلى جهنم يحشرون، أما سننه في المنافقين فهي أنكى وأمَّر فإنه منزل عليهم لعائنه في الدنيا ثم يطردون من رحمته تعالى في الآخرة. وعلى النقيض من ذلك فإن من سنن الله تعالى أنه يتولى المؤمنين ويسدد أعمالهم ويهديهم إلى سبله وينصرهم على أعدائهم، ويرسل الملائكة يقتلون معهم بل ويضاعف أعدادهم، وأنه تعالى حتم استخلافهم وتمكينهم في الدنيا حتى يدخل الإسلام كل بيت وينصرهم على كل دين، وهذا ما يغيظ أعداء الإسلام ومن على شاكلتهم ويجمع كلمتهم ضد الإسلام وأهله، والله تعالى متم نوره رغم أنوفهم.

سنن الله تعالى

لله سبحانه وتعالى سنن لا تتغير ولا تتبدل في تعامله مع البشر مؤمنهم وكافرهم مذ بدأ الخليقة إلى قيام الساعة كما بين تعالى فقال تعالى في سورة الأحزاب:{ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ **وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً** }(62)،

وكما جاء في فرعون فإن الله تعالى أهلكهم ومكَّن لمن آمن به من بني إسرائيل فقال تعالى في سورة الأعراف:{ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُواْ يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ(134) فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُم بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ(135) **فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ** بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ(136) وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُواْ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ}(137)، أما سننه في المؤمنين من النصارى فهي كما قال تعالى في سورة آل عمران:{ إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ **وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ** ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ}(55).

أولا: سنن الله تعالى في أعدائه

سنن الله تعالى في المستهزئين

يبين الله تعالى لرسوله– صلى الله عليه وآله وسلم– أن الاستهزاء حصل لكثير من الرسل فقال تعالى في سورة الحجر:{ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الأَوَّلِينَ(10) وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ(11) كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ(12) لاَ يُؤْمِنُونَ بِهِ **وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ**}(13)، وبين سلوكهم في هذه الحياة فقال تعالى في سورة البقرة:{ وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكْمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ(14) اللّهُ

يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ}(15)، وبيّن تعالى أن سننه ماضية فيهم وهي الإمهال ثم الإهلاك كما قال في سورة الرعد:{ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ **فَأَمْلَيْتُ** لِلَّذِينَ كَفَرُواْ **ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ** فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ}(32)، فلا يظنُّ ظانٌّ أن ذلك الإمهال خيرٌ لهم، بل الغاية أن يزدادوا في إثمهم ومعاداتهم لله ورُسَله والمؤمنين ليستحقوا بذلك العذاب المهين في الدنيا وما لهم وفي الآخرة من نصيب، وكما قال في سورة الأنعام:{ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ}(10)، وكما قال تعالى في سورة النحل:{ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ}(34). وقد كُفِيَ رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- شيء من ذلك كما قال تعالى في سورة الحجر:{ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ(95) الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللهِ إِلهاً آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ}(96).

سنن الله تعالى في المستكبرين

سنن الله تعالى في المستكبرين أنه لا يحبهم فقال تعالى في سورة النحل:{ لاَ جَرَمَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ}(23)، وأنّ للمستكبرين عذاب مهين في الدنيا وعذاب عظيم يوم القيامة كما قال تعالى في سورة الجاثية:{ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ(7) يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ **ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِراً** كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا **فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**(8) وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئاً اتَّخَذَهَا هُزُواً **أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ**(9) مِن وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُوا شَيْئاً وَلا مَا اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء **وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**}(10).

والعبرة في كفار قريش حيث أقسموا أنه لو أرسل سبحانه لهم رسولا يهديهم ويرشدهم وينذرهم فسوف يمتثلون امتثالا لم يسبقهم إليه أحد، فلما أرسل تعالى لهم النبي الأمي ما زادهم إلا إعراضا بسبب ما في نفوسهم من استكبار على الحق وأهله، فحل بهم ما حل بالأمم السابقة فقال تعالى عنهم في سورة فاطر:{ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الأُمَمِ فَلَمَّا جَاءهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلا نُفُوراً(42) **اسْتِكْبَاراً** فِي الأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلا سُنَّتَ الأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً}(43).

سنن الله تعالى في المشاقين لأنبيائه.

وكذلك الحال مع من يشاقق الرسل ويسلك منهجا مخالفا لهم فأنه تعالى يتركهم في ضلاله في الدنيا ثم يخزيهم فيقحمهم عذابه يوم القيامة وبأس ما اختاروا لأنفسهم كما قال تعالى في سورة فاطر:{ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيراً}(115).

1- **سنن الله تعالى في قتلة الرسل ومستفزيهم**

ومن نواميسه تعالى في قتلة الرسل ومستفزيهم ومن آمن معهم أن لهم العذاب الأليم في الدنيا وفي الآخرة فقال تعالى في سورة آل عمران:{ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ(21) **أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ**}(22). وكما بيَّن تعالى لرسوله- صلى الله عليه وآله

وسلم- فقال تعالى في سورة الإسراء:{ وَإِن كَادُواْ **لَيَسْتَفِزُّونَكَ** مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجوكَ مِنْهَا **وَإِذاً لاَّ يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلاَّ قَلِيلاً**(76) سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلاَ تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً}(77)، والاستفزاز هو الإفزاع والإزعاج وتطيير الفؤاد كما ورد في لسان العرب، ويراد منه القتل كذلك، ففي هذه الآية تهديد شديد ووعيد فيما لو استطاع الكفار قتل رسوله- محمد صلى الله عليه وآله وسلم- محاولين التخلص منه، فليس هناك سنة أخرى ينهجها الله تعالى فيهم إلا الإهلاك التام ولو بعد قليل، فسنة استأصلهم من الأرض باقية على مر الدهور، فاليوم الذي يحاول فيه أعداء هذا الدين استئصاله من الأرض فإن العقوبة آتية لا محالة وماضية فيهم إلى قيام الساعة.

سنن الله تعالى في الكافرين

أما سنن الله تعالى في نفقة الكفار من أموال لصد الناس عن هذا الدين فإنها تؤول عليهم ثلاث حسرات، فلا تلبي الأغراض التي من أجلها أنفقت، ويغلبهم المسلمون في الدنيا ثم الخسران العظيم في الآخرة كما بين تعالى فقال في سورة الأنفال:{ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ **عَلَيْهِمْ حَسْرَةً** ثُمَّ **يُغْلَبُونَ** والَّذِينَ كَفَرُوا **إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ**(36) لِيَمِيزَ اللّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ويَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ}(37)، واستحقاق الكفار العذاب بما كسبت أيدهم لصدِّهم عن هدي الله تعالى وليس لهم إلا ضلال أعمالهم في الدنيا كما بيَّن تعالى فقال في سورة محمد:{ **الَّذِينَ كَفَرُوا** وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ **أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ**(1) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا

بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ(2) ذَلِكَ بِأَنَّ **الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ** وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ}(3)، فالجزاء من جنس العمل وجزاء اتباعهم الباطل، وكما قال تعالى عنهم في سورة الطارق:{ **إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً**(15) **وَأَكِيدُ كَيْداً**(16) فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً}(17).

تكفر الله تعالى بهزيمة الكفار في الدنيا

بيّن تعالى أنّه هازم للكفار في الدنيا كما حصل لكفار قريش في غزوة بدر الكبرى فهَزَمت القلةُ المؤمنةُ الكثرةَ الكافرةَ، وأنه تعالى حاشرهم إلى جهنم يوم القيامة كما قال تعالى في سورة آل عمران:{ **قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ**(12) قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الأَبْصَارِ}(13)، وكما حصل لكفار يهود فأخرجهم سبحانه من حصونهم المنيعة بأن قذف في قلوبهم الرعب، فخربوا بيوتهم التي شيَّدوها وخسروا كل ما أنفقوا على بنائها طيلة حياتهم في المدينة، كما بيّن تعالى فقال في سورة الحشر:{ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ **الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ** مِن دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ **فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ** يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ}(2).

ب- فرار الكفار عند احتدام القتال

أكد تعالى عدم لبث الكفار عند احتدام القتال إلا قليلا، ثم الفرار ثم لا يجدون في الأرض من يواليهم وينصرهم من الله تعالى فقال في سورة الفتح:{ وَلَوْ **قَاتَلَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا**(22) سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلا}(23).

فثوابت الله تعالى ثابتة مهما طغى الجبابرة وبغوا وتمكنوا في هذه الأرض بكل السبل التي يتوصلون إليها من علم أو عمل أو مكر وخديعة فإنهم لا يعجزون الله تعالى في هذه الأرض فإن الله تعالى هو العزيز الذي لا يغلب كما قال تعالى في سورة النور:{ **لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ** وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ}(57)، وأن الله تعالى يدافع عن الذين آمنوا إذا صدقوا، كونه تعالى لا يحب الكافرين فقال:{ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ}(38).

أسباب إلحاق الهزيمة بأعداء الله تعالى

يلحق الله تعالى الهزيمة بأعدائه بسبب إتباعهم الباطل كما قال تعالى في سورة محمد:{ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا **اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ** وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ}(3)، وبسبب أنهم يتبعون كل ما يستوجب سخط الله تعالى وكراهيتهم رضوانه فقال تعالى في سورة محمد:{ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ **اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ** فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ}(28)، وبسبب شركهم بالله تعالى حيث قال تعالى في سورة آل عمران:{ **سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ**

الَّذِينَ كَفَرُواْ الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُواْ بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ}(151).

سنن الله تعالى في المنافقين

وأما المنافقون فسننه تعالى فيهم أنكى وأمرّ، فإنه عز وجل ينزل عليهم لعائنه ثم يطردهم من رحمته كما قال تعالى في سورة الأحزاب:{ لَئِن لَّمْ يَنتَهِ **الْمُنَافِقُونَ** وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلا قَلِيلاً(60) **مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا** أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً(61) سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً}(62)، وهم في قعر جهنم كما بيَّن فقال تعالى في سورة الأحزاب:{ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ **فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ** وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً}(145)، وكما جاء في منافقي الأعراب ومنافقي المدينة فقال تعالى في سورة التوبة:{ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى النِّفَاقِ لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ **سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ**}(101).

ثانيا : سنن الله تعالى للمؤمنين

موالاة الله تعالى للمؤمنين

وكما أنّ لله تعالى سنناً في تعامله مع أعدائه فإن لله تعالى سنناً مختلفة مع المؤمنين، فمن سننه عزَّ وجلَّ أنه تعالى يتولاهم فيسدد أعمالهم، والولي كما ورد في كتاب تهذيب الأسماء واللغات:{ هو الرب والمالك والسيد والمنعم والمعتق والناصر والمحب والتابع والجار وابن العم والحليف والعقيد والصهر

والعبد والمنعم عليه والمعتق}، فالله هو رب هذه الأمة ومالك أمرها وسيدها الذي يهديها، والمنعم عليها بكل نعمه ومعتقها من النار وناصرها ومحبها ومؤيدها ومسدد خطاها ومجيرها من كل سوء ولذلك قال سبحانه في سورة البقرة:{ **اللّهُ وَلِـيُّ الَّـذِينَ آمَنُـواْ** يُخْـرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَـاتِ إِلَـى النُّـوُرِ وَالَّـذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ }(257).

هداية الله تعالى للمؤمنين

تكفَّل سبحانه بهداية المؤمنين عند بذلهم الجهد في سبيله فقال تعالى في سورة العنكبوت:{ **وَالَّـذِينَ جَاهَـدُوا فِينَـا لَنَهْـدِيَنَّهُمْ سُـبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَـعَ الْمُحْسِنِينَ**}(69)، فكل من جاهد في سبيل إعلاء شرع الله تعالى فله الهداية إلى أكثر من سبيل وبما يتناسب مع الأصلح للوصول إلى الغايات.

1- تأييد الله تعالى للمؤمنين وإلقاء الرعب في قلوب أعدائهم

كما وتكفَّل الله عزَّ وجلَّ بتأيد المؤمنين وإلقاء الرعب في قلوب الكفار ليمنعهم من كثير من مقاصدهم فقال تعالى في سورة آل عمران:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوَاْ إِن تُطِيعُواْ الَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَاسِرِينَ(149) **بَلِ اللَّهُ مَوْلاَكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ**(150) سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمْ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ}(151)، وكما حصل في موقعة أحد بعد أن قال المشركون: كيف ننصرف بعد أن قتلنا من قتلنا وهزمناهم؟ ولمّا نستأصلهم؟ فهموا بذلك، فألقى الله في قلوبهم الرعب،

فانصرفوا خائبين، فنصر الله تعالى لعباده المؤمنين لا يخرج عن أحد أمرين: إما أن يقطع طرفاً ممن كفروا، أو يكبتهم فينقلبوا خائبين.

نصر الله تعالى للمؤمنين بالملائكة

تكفَّل سبحانه وتعالى بنصر المؤمنين بالملائكة، إما بثلاثمائة ملك أو بمضاعفة أعدادهم كما حدث في غزوة بدر الكبرى فأمدهم بخمسمائة ملك رغم قلة السلاح والعتاد، فعندما يمتزج التوجه لله وحده بالصبر والتقوى يكون المدد عنيفا وفوريا كما قال تعالى في سورة آل عمران:{ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ(123) إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ **بِثَلاَثَةِ آلاَفٍ مِّنَ الْمَلاَئِكَةِ** مُنزَلِينَ(124) **بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ** وَيَأْتُوكُمْ مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا **يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلاَئِكَةِ مُسَوِّمِينَ**(125) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ **إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ** وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ(126) لِيَقْطَعَ طَرَفاً مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ(127) لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ}(128)، كما وذكر تعالى نفس الواقعة بصورة مختلفة فقال تعالى في سورة الأنفال:{ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتِيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ(7) لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ(8) إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ **بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلاَئِكَةِ** مُرْدِفِينَ(9) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ(10) إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ

عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ(11) إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ **سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرُّعْبَ** فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ(12) ذلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ(13) ذلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ}(14).

ملازمة النصر للمؤمنين الصادقين

كما وبيَّن تعالى أن النصر ملازم للمؤمنين الصادقين منذ بدء الخليقة فقال تعالى في سورة الصافات:{ **وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ**(171) **إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ**(172) **وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ**}(173)، وإن هذه السنن ليست خاصة بهذه الأمة ولكنها قديمة ومستمرة في نصر رسل الله تعالى وأتباعهم في الدنيا وأنها لا تنقطع، فقال في سورة غافر:{ **إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ**}(51)، والآيات كثيرة في قصص الأنبياء كما قال تعالى في سورة ق:{ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ(12) وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ(13) وَأَصْحَابُ الأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ **كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ**}(14)، وإن الله تعالى بيَّن أن نصر المؤمنين هو من سننه الأزلية وهذا واضح في كتاب الله عزَّ وجلَّ فقد نصر نبيه موسى وهارون ونوحاً وهوداً وصالحاً ولوطاً وغيرهم من رسله صلوات الله عليهم أجمعين فقال تعالى في سورة الفرقان:{ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيراً(35) فَقُلْنَا اذْهَبَآ إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا **فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيراً**(36) وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُواْ الرُّسُلَ **أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً** وَأَعْتَدْنَا

لِلظَّـالِمِينَ عَـذَاباً أَلِيمـاً(37) وَعَـاداً وَثَمُـودَاْ وَأَصْـحَابَ الـرَّسّ وَقُرُونـاً بَـيْنَ ذَلِـكَ كَثِيراً(38) وَكُـلاًّ ضَـرَبْنَا لَـهُ الأَمْثَالَ وَكُـلاًّ تَبَّرْنَا تَتْبِيراً(39) وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَـةِ الَّتِيَ أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُواْ يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُواْ لاَ يَرْجُونَ نُشُوراً}(40).

أخذ الله تعالى العهد على نفسه بنصر المؤمنين

بيّن تعالى أنه أخذ العهد على نفسه في كل زمان ومكان بنصر المؤمنين وأنه حق عليه تعالى فقال في سورة الروم:{ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاؤُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا **وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ**}(47).

الاستخلاف والتمكين في الأرض

وُعود الله تعالى لرسوله ولهذه الأمة ثابتة لا شك فيها ولا يعتريها التغير ولا التبديل، فوعد سبحانه الأمة بالاستخلاف والتمكين في الأرض والنصر المبين، فله سبحانه جنود السماوات والأرض ينصر بهم من يشاء، ليحول كل مستعصٍ إلى نصر في كل حين، فقد يفهم أنّ صلح الحديبية فيه رضوخاً للمشركين ولكن الله سبحانه جعل ذلك نصراً بعلمه وحكمته فقال تعالى في سورة الفتح:{ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا(1) لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا(2) **وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا**(3) هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوَاْ إِيمَاناً مَّعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيما}(4)، ثم كرَّر في نفس السورة فقال:{ **وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً**}(7).

كما ووعد سبحانه هذه الأمة بالاستخلاف والتمكين في الأرض واستبدال خوفهم أمناً كما بيَّن فقال تعالى في سورة التوبة:{ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ** كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ **وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمْ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا** يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْفَاسِقُونَ}(5)، اتفق المفسرون في هذه الآية على أن هذا وعد من الله سبحانه بجعل هذه الأمة خليفة هذه الأرض، كما استخلف الصالحين من الأمم السابقة مثل أتباع نوح وهود وصالح وموسى وعيسى وغيرهم عليهم السلام، وليمكنَّنَّ لهذه الأمة دينها الإسلام الذي ارتضاه لها وليبدِّلنَّ خوفهم أمنا كما حصل في ماضي هذه الأمة وسيكون ذلك في حاضرها ومستقبلها فمن شك بوعد الله سبحانه فهو من الفاسقين.

وعد الله تعالى بتوريث الأرض للمؤمنين

كما ووعد سبحانه بأن يورث هذه الأمة الأرض، وجعل ذلك ثابتاً في كتبه السابقة حيث قال تعالى في سورة الأنبياء:{ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ **أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**(105) **إِنَّ فِي هَذَا** لَبَلاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ}(106)، وقال ابن كثير في تفسيره أنّ{ الله سبحانه وتعالى أخبر في التوراة والزبور وسابق علمه قبل أن تكون السماوات والأرض أن يورث أمة محمد- صلى الله عليه وسلم- الأرض}، و{ الزَّبُورِ} الكتب التي أنزلت، و{ الذِّكْرِ} اللوح المحفوظ والذي كان قبل خلق الخلق،{ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ

الصَّالِحُونَ} أي أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وأن ذلك لمتحقق لها قبل قيام الساعة،{ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلاغاً لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ}.

بشارات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم للمؤمنين

كما ويؤكد رسول صلى الله عليه وآله وسلم تلك البشائر وبأساليب مختلفة وبحسب الوقائع، فمرة يبشر باستتباب الأمر وتمامه وما سيصل إليه وما يحققه من أمن وأمان للبشرية، أو بلوغ هذا الدين ما بلغ إليه الليل والنهار ودخوله كل بيت كما ورد في صحيح الإمام البخاري عن خباب بن الأرت قال:{ شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم وهو يومئذ متوسد بردة في ظل الكعبة، فقلنا: ألا تستنصر لنا الله تبارك وتعالى أو ألا تستنصر لنا فقال: قد كان الرجل فيمن كان قبلكم يؤخذ فيحفر له في الأرض، فيجاء بالمنشار على رأسه فيجعل بنصفين فما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب فما يصده ذلك، **والله ليتمن الله عز و جل هذا الأمر** حتى يسير الراكب من المدينة إلى حضرموت لا يخاف إلا الله تعالى والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون}.

كما وورد في صحيح الإمام البخاري عن عَدِيّ بن حاتمٍ قال:{ بَينا أنا عندَ النبيّ صلى الله عليه وسلم إذا أتاهُ رجُلٌ فشَكا إِليهِ الفاقَةَ، ثمَّ أتاهُ آخَرُ فشكا إِليه قَطعَ السبيل، فقال: يا عَدِيُّ، هل رأيتَ الحِيرةَ ؟ قلت: لم أرَها، وقد أُنبِئتُ عنها قال: فإِن طالتْ بكَ حَياةٌ لتَرَيَنَّ الظَّعينةَ تَرتحِلُ منَ الحِيرةِ حتى تَطوفَ بالكعبةِ لا تخافُ أحداً إِلا اللهَ – قلتُ فيما بيني وبينَ نفْسي فأَين دُعّارُ طَيئ الذينَ قد سَعَّروا البلادَ؟ – ولئنْ طالَتْ بكَ حياةٌ لتُفتَحنَّ كُنوزُ كِسرَى،

قلتُ: كِسرَى بن هُرمُزَ؟ قال: كِسرَى بنِ هُرمُزَ، **ولئنْ طالت بكَ حياةٌ لَتَرَينَّ الرجلَ يُخرجُ مِلْءَ كفِّهِ من ذهبٍ أو فضةٍ يَطلُبُ مَن يَقبلهُ منهُ فلا يَجِدُ أحداً يَقبلهُ منه.** ولَيلقيَنَّ اللهَ أحدُكم يومَ يَلقاهُ وليسَ بينَهُ وبينهُ ترجمانٌ يُترجمُ لهُ فيقولَنَّ: ألم أبعَثْ إليكَ رسولاً فيُبلِّغك؟ فيقول: بلى. فيقول: ألم أُعطِكَ مالاً وأُفْضِلْ عليك؟ فيقول: بلى. فيَنظرُ عن يَمينه فلا يَرى إلا جهنَّم، وينظرُ عن يَسارِهِ فلا يَرى إلا جهنَم. قال عَدِيٌّ: سمعتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم يقول: اتَّقُوا النارَ ولو بشِقِّ تمرةٍ، فمن لم يَجِدْ شقَّ تمرةٍ فبكلمةٍ طيِّبةٍ. قال عديٌّ: فرأيتُ الظعينة ترتحلُ منَ الحِيرةِ حتى تطوفَ بالكعبةِ لا تخافُ إلا اللهَ، وكنتُ فيمن افتتحَ كنوزَ كسرَى بنِ هُرمُزَ، ولئنْ طالت بكم حياةٌ لَتَرَوُنَّ ما قال النبيُّ أبو القاسم صلى الله عليه وسلم: يُخرجُ مِلءَ كفه}.

ولما ورد في صحيح الإمام مسلم عن نافع بن عتبة قال:{ كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة قال فأتى النبي صلى الله عليه وسلم قوم من قبل المغرب عليهم ثياب الصوف فوافقوه عند أكمة فإنهم لقيام ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد قال فقالت لي نفسي ائتهم فقم بينهم وبينه لا يغتالونه، قال ثم قلت لعله نجي معهم فأتيتهم فقمت بينهم وبينه، قال فحفظت منه أربع كلمات أعدُّهن في يدي قال: **تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله، ثم فارس فيفتحها الله، ثم تغزون الروم فيفتحها الله، ثم تغزون الدجّال فيفتحه الله،** قال فقال نافع: يا جابر **لا نرى الدجال يخرج حتى تفتح الروم}.** ثم يكون النصر في آخر الزمان على الدجّال.

وبشَّر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ببلوغ الإسلام ما بلغ الليل والنهار كما ورد في مسند الإمام أحمد عن تميم الداري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول:{ ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر **إلا أدخله الله هذا الدين** بعزِّ عزيز أو بذلِّ ذليل، عزّاً يعزُّ الله به الإسلام وذلاً يذلُّ الله به الكفر، وكان تميم الداري يقول عرفت ذلك في أهل بيتي لقد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعز ولقد أصاب من كان منهم كافرا الذل والصغار والجزية}.

ثالثا: الحقيقة الأزلية

المستقبل للإسلام على هذه الأرض

إن الحقيقة الأزلية في أن المستقبل لا يكون إلا للإسلام هي حقيقة أزلية، فهذا الدين منتصر على كل من خالفه، وقد أكدَّ سبحانه للرسول صلى الله عليه وآله وسلم ذلك وللمؤمنين عند فتح مكة فقال تعالى ف سورة الفتح:{ لَقَدْ صَدَقَ اللّهُ رَسُولَهُ الرؤيا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ ومُقَصِّرِينَ لا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذلِكَ فَتْحا قَرِيبا(27) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ **لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا**}(28)، أي أن الفتوحات التي حصلت للرسول صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين – بما في ذلك فتح مكة – ليست إلا مقدمات للفتوحات وللانتصارات الشاملة والمستقبلية، وأنه سبحانه أرسل محمداً صلى الله عليه وآله وسلم لينصره على الدين كله وكفى بالله شهيدا على ما سيكون.

ثم كرر الله سبحانه وتعالى هذه الحقيقة الأزلية مرة ثانية عندما بذل اليهود والنصارى محاولات كثير لطمس رسالة الإسلام، وهذه المحاولات مستمرة إلى يومنا الحاضر لا تنتهي أبداً، فعلى المسلمين أن يكونوا على وعي ودراية بما يدور حولهم وما يخطط لهم في كل وقت وحين، وكان ذلك واضحاً من يهود ونصارى عندما ادَّعوا ويدَّعون كذبا أن عزير والمسيح أبناء الله سبحانه وتعالى، وإنما كانت غايتهم من ذلك الادِّعاء الكاذب أنهم أقرب إلى الله من المسلمين حيث أنهم أتباع أبناء الله، أما المسلمون فهم أتباع بشراً رسولا، وقصدهم صدَّ الناس عن دين الله تعالى وطمس الحق الذي جاء من عنده فقال عنهم في سورة التوبة:{ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ(30) اتَّخَذُوَاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوَاْ إِلاَّ لِيَعْبُدُوَاْ إِلَـٰهاً وَاحِداً لاَّ إِلَـٰهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ(31) يُرِيدُونَ **أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ** بِأَفْوَاهِهِمْ **وَيَأْبَى اللَّهُ إِلا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ** وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ(32) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ **لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ** وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ}(33).

ثم أكد سبحانه الحقيقة الأزلية التي لا مناص عنها مرَّة ثالثة عندما ذكّر عيسى عليه السلام بني إسرائيل بالعهد الذي أخذ عليهم من وجوب إتباع محمد صلى الله عليه وآله وسلم ونصره فنكثوا ذلك وقالوا هذا سحر مبين، فسطر ذلك تعالى عنهم فقال تعالى في سورة الصف:{ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُواْ أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ

لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ(5) وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يبَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ **وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ** فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُواْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ(6) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الإِسْلاَمِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ(7) يُرِيدُونَ لِيُطْفئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ والله مُتِمُّ نُورَهُ ولَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ(8) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ **لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ** وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ}(9).

ولقد عايش المسلمون في تلك العصور مع رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه سننه وكل ما وعدهم الله تعالى في أعداء الإسلام، فذلك من ثوابته منذ بداية الخلق إلى قيام الساعة، ورأى المسلمون تحقق سنن الله تعالى فيهم، فلقد هزموا الكفار وغلبوهم، وجعل تعالى كل ما أنفقه الكفار لصدِّ الناس عن هذا الدين حسرة عليهم، فلم يحققوا أهدافهم ثم غلبهم المسلمون ثم إلى جهنم يحشرون، وكذلك تحقَّقت سنن الله عز وجل في المنافقين، فكانت أنكى وأمرّ فاستؤصلوا من مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم من جزيرة العرب في عهد الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم يكون الطرد من رحمة الله تعالى يوم القيامة، وقد تحققت سنن الله تعالى في المستهزئين والمستكبرين والمصرِّين على كفرهم فلم تتغير تلك السنن التي أخبر الله تعالى عنها في السور المكية والمدنية على السواء، ولقد صدق الله وعده للمؤمنين عند احتدام القتال فلم يلبث الكفار إلا أن فروا ولم يجدوا لهم في الأرض من يواليهم ومن ينصرهم من الله تعالى.

كما وتحققت كذلك سنن الله تعالى للمؤمنين المجاهدين في سبيله، فلقد هداهم إلى سبله وبما تناسب مع الأصلح لهم حتى وصولهم إلى غاياتهم، ورأى

المسلمون كيف ألقى الله تعالى الرعب في قلوب أعدائهم الكافرين والخوف العظيم الذي منعهم من كثير من مقاصدهم السيئة، كما وعاصر المسلمون الطرق التي نصر الله تعالى بها هذا الدين بجنوده من الملائكة وضاعف عددهم في كثير من الغزوات والفتوحات الإسلامية في القرون الأُول من حياة هذه الأمة، فلم تتخلف تلك السنن والعهود التي أخذها الله تعالى على نفسه، كما وستبقى سنن الله تعالى تنتظر هذه الأمة ليكون المستقبل على هذه الأرض لها ولدينها كما وعدهم الله تعالى وبشَّرهم رسول صلى الله عليه وآله وسلم باستتباب الأمر وتمامه، فسيسود الإسلام على الأرض وترثها هذه الأمة ويستخلف المؤمنون فيها، وأن هذا الدين سيبلغ ما بلغ الليل والنهار، ولقد بدأت بشائر النصر تلوح في الأفق فبالأمس هزم الله القوي العزيز الاتحاد السوفيتي في أفغانستان، وهزمت أوربا في البوسنة والهرسك وسيهزم الأحزاب(أمريكا وأوربا والاتحاد السوفيتي واستراليا ومن شايعهم) في أفغانستان عن قريب ثم يهزم تعالى إسرائيل في فلسطين بتحقق وعده ووعد رسوله الله صلى الله عليه وآله وسلم فيهم بإذن الله، ولله أكبر، الله أكبر، ألله أكبر ولله الحمد، ويدخل الإسلام كل بيت كما أخبر رسول البشرية محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

ولكن لا ننسى أنّ هذه الوعود المحفزة للمسلمين المخلصين ستظل تغيظ أعداء الله تعالى وأعداء الإسلام إلى ما لا نهاية له، وستظل الدول الكبرى الكارهة لظهور الإسلام ومن شايعها في حرب غير معلنة يبذلون كل ما في وسعهم حتى لا يتحقق شيء للإسلام بمختلف الحيل والتبريرات والشواهد على

ذلك كثيرة، ولكن ستظل سنة الله تعالى لا تتغير ولا تتبدل حتى ينتصر الإسلام على كل دين ويدخل كل بيت ويقام كامل شرع الله تعالى على هذه الأرض.

الباب الأول

المبحث الثالث: الهدف الاستراتيجي

إنّ المشكلة الكبرى التي تعاني منها هذه الأمة والحلقة المفقودة في حيتها اليوم أنها لا تعرف هدفها الاستراتيجي أو غايتها العظمى، ولقد ساهم تجلي ووضوح ذلك الهدف مساهمة واضحة في سرعة إيصال الإسلام إلى الناس، كما وساهم في جمع كلمة المسلمين وتوحيد صفّهم وتحديد وجهتهم، وضمن تضافر كل الجهود وعلى كل المستويات، ولكن بات اليوم الحلقة المفقودة في حياة هذه الأمة، والذي انعكس سلبا على وضعها، فسارت تتخبط يمنة ويسرة تطلب الهدى عند غيرها من الأمم وبمعايير لا تنسجم مع هدي دينها ولا مكانتها فضاعت وضيعت وجهتها في هذه الحياة.

وإذا أضفنا إلى ذلك أن المتربصين بهذه الأمة استطاعوا اختراقها من كثير من الجوانب فصاغوا لها غايات وأهداف أخرى من ذات الدين أو من غيره وزيّنوا ذلك بعناوين برّاقة وجذّابة، ثم أعطيت تلك الغايات أهمية أكبر بكثير من غاية الأمة العظمى، ثم قدِّست تلك الأهواء وأصبح الذود عنها ما ترخص في سبيله الأموال والدماء فالتبس الأمر على كثير من هذه الأمة، فأصبح الحليم فيها حيراناً حتى وصل حال الأمة إلى ما وصلت إليه من خلاف وفرقة واقتتال، ولذلك كان لزاما التذكير بهدف الأمة الاستراتيجي الذي وضعه الله تعالى لها.

الهدف الاستراتيجي

الهدف الاستراتيجي هو هدف بعيد المدى، يراد منه تغيير الحال الحاضر إلى حال طموح جدا في المستقبل، وقد يضع الهدف الاستراتيجي فرد لتطوير نفسه بأن يكون مليونيرا في غضون عشرون سنة، أو تضعه مؤسسة

لترتقي فتكون من أكبر عشر المؤسسات على مستوى العالم في تخصصها بعد ثلاثون سنة، أو أن يضع رئيس دولة هدفا استراتيجي لدولته للنهوض بها في جميع مجالات الحياة وجعلها في مصاف الدول المتقدمة بعد خمسين سنة كما فعلت اليابان بعد الحرب العالمية الثانية، فإذا حدد الهدف الاستراتيجي فلا بد من أن تصاغ كل الأهداف المرحلية والخطط، وتسخر كل الإمكانات المادية والبشرية للوصول إلى ذلك الهدف.

هدف الأمة الاستراتيجي

إن أهم ما يجمع كلمة الأمة هو هدفها الاستراتيجي أو الغاية العظمى لها والذي يستنبط من قوله تعالى في سورة الشورى:{ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى **أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ** كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ}(13)، فيبيّن الله تعالى في هذه الآية الهدف الاستراتيجي لجميع الأمم والذي ينبغي أن تتبناه هذه الأمة سواء الدول الإسلامية أو الأفراد أو الجمعيات، والذي يعني إقامة جميع أحكام الله تعالى أُصولها وفروعها في جميع مجالات الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعلمية والعملية وغيرها بما لا يتعارض مع ما ورد في كتاب الله عزَّ وجلَّ ولا مع سنَّة نبيّه محمد صلى الله عليه وسلم.

الغاية من الاستخلاف إقامة شرائع الله تعالى

إنّ الغاية من الاستخلاف هو إقامة شرع الله تعالى، وهو واجب الرسل جميعهم وأتباعهم من البشر كما بيّن تعالى فقال في سورة البقرة:{ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ **خَلِيفَةً** قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ}(30)، فالغاية من خلق الإنسان واستخلافه على الأرض بدءاً من آدم إلى محمد صلى الله عليهم وسلم هو إقامة شرائع الله تعالى، والأمة الإسلامية ما هي إلا حاملة لهذه الراية من بعد الرسل تكليفاً وتشريفاً.

ولقد بيّن عزَّ وجلَّ أنّ العهد الذي أخذه على أنبياء بني إسرائيل هو إقامة أحكام التوراة على أنفسهم وعلى غيرهم من الناس في زمنهم فقال في سورة المائدة:{ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ **يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ** بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَاء فَلاَ تَخْشَوُاْ النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً **وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**}(44)، ثم وجَّه الله تعالى الخطاب لهذه الأمة محذِّراً من أن تقع فيما وقعت فيه بني إسرائيل، ولذلك عمَّم الله تعالى الحكم بالكفر في كل من لا يعمل على إقامة شرع الله تعالى على هذه الأرض.

كما وأمر الله تعالى أتباع عيسى عليه السلام بإقامة شرع الله تعالى على هذه الأرض وعدم الخروج عن عهده وشرعه الذي شرعه لهم فقال في سورة المائدة:{ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فِيهِ **وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**}(47)، فهذه العهود التي أخذت على اليهود والنصارى

والمسلمين ما هي إلا تفصيل للعهد الذي أخذ عليهم في سورة الشورى سالفة الذِّكر.

ولذلك أمر الله تعالى نبيَّه محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن يخبر اليهود والنصارى بأنهم ليسوا على دين الله تعالى حتى يقيموا التوراة والإنجيل في زمنهم، وكامل ما أنزله تعالى على هذه الأمة فقال في سورة المائدة:{ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّىَ تُقِيمُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ **وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ** وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ}(68).

وجوب إقامة شرع الله تعالى على هذه الأرض

بيَّن الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم أن الغاية الأساسية من تنزيل القرآن هي إقامة كامل شرعه بين الناس كما قال تعالى في سورة النساء:{ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ **لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ** بِمَا أَرَاكَ اللّهُ وَلاَ تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيماً}(105)، وأنّ الإيمان لا يكتمل حتى يقام شرع الله تعالى المنزل في القرآن في كل ما اختلف فيه فقال في سورة في سورة النساء:{ فَلاَ وَرَبِّكَ **لاَ يُؤْمِنُونَ** حَتَّىَ **يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً**}(65).

كما أنّ الله تعالى عاتب أهل الكتاب على عدم الاحتكام إلى شرعه فقال في سورة آل عمران:{ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوْتُواْ نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ **يُدْعَوْنَ إِلَى**

كِتَابِ اللهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ(23) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ **لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم** مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ}(24).

وجوب إقامة أحكام الإسلام على كل الناس

قرّر الله تعالى أنه أنزل القرآن مصدقا للكتب المنزلة قبله ومهيمنا عليها، فلا حكم ينفذ إلا بما لا يتعارض مع شرع هذه الأمة، وأن على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمته إقامة حكم الله المنزل على أهل الكتاب دون أدنى تغيير أو افتتان، مستنكرا على أهل الكتاب سلوكهم الجاهلي فقال تعالى في سورة المائدة:{ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ **فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ** عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ(48). وقال تعالى في سورة الأنعام:{ **أَفَغَيْرَ اللّهِ أَبْتَغِي حَكَماً** وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ}(114). فلا يحقُّ لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا لأمته اختيار شرعا غير شرع الله تعالى البتة.

نصر الله تعالى مرهون بالسعي لإقامة شرع الله تعالى على الأرض

حضَّ الله تعالى الأمة على المجاهدة بالأموال والأنفس لإقامة شرعه وبيّن أنها التجارة الرابحة معه سبحانه فقال تعالى في سورة الصف:{ يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ هَلْ أَدُلُّكمْ عَلَى تِجَارَةٍ **تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ**(10) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ

وَرَسُولِهِ **وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ** ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ(11) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ(12) **وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ** وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ}(13)، والغاية من الجهاد في سبيل الله تعالى هو إقامة شرعه، وإنّ نصره تعالى مشروط بتحقيق ذلك الهدف كما قال تعالى في سورة محمد:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا **إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ**}(7)، إي إذا كنتم تريدون النصر من الله سبحانه فانتصروا لدينه وتوجهوا لإقامة حكمه على هذه البسيطة.

الغاية من الجهاد إقامة شرع الله تعالى

بيّن تعالى للمسلمين وجوب أنّ يجعلوا الغاية العظمى من الجهاد هو إقامة شرعه فقال تعالى في سورة البقرة:{ وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوۤاْ إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ(190) وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُم وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ وَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَافِرِينَ(191) فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ(192) وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ **وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ** فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ}(193)، ومعنى{ ويكون الدين لله} أي الشرع الذي تحتكمون إليه شرع الله وحده، كما بين تعالى فقال في سورة الأنفال:{ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ **وَيَكُونَ الدينُ كُلُّهُ لله** فَإِنِ انْتَهَوْاْ فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ(39) وَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمُوۤاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلاَكُمْ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ}(40)، ويعني ذلك كما جاء في تفسير السعدي: {(وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ) أي:

شرك، وصد عن سبيل الله ويذعنوا لأحكام الإسلام، فهذا المقصود من القتال والجهاد لأعداء الدين، أن يدفع شرهم عن الدين، وأن يذّب عن دين الله، الذي خلق الخلق له، حتى يكون هو العالي على سائر الأديان}. ولذلك حرص رسول الله– صلى الله عليه وآله وسلم– على إصلاح النيات عند القيام بأي عمل وخاصة القتال كما ورد في صحيح الإمام البخاري عن أبي موسى رضي الله عنه قال:{ جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل للذكر والرجل يقاتل ليرى مكانه فمن في سبيل الله؟ قال **من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا** فهو في سبيل الله}. ومعنى {لتكون كلمة الله هي العليا} أي يكون شرع الله تعالى هو المعمول به والمحتكم إليه في مجالات الحياة.

ثم إنّ الله تعالى بيّن وجوب تسخير كل الموارد البشرية والمالية لإقامة كامل شرعه على هذه الأرض فقال تعالى في سورة الحج:{ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ **حَقَّ جِهَادِهِ** هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَـذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُواْ بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاَكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ}(78)، ومعنى الجهاد كما ورد في تفسير السعدي:{ هو بذل الوسع (أو الجهد) في حصول الغرض المطلوب. فالجهاد في الله حق جهاده هو بذل كل ما يستطاع من نفس ومال وكلمة للوصول إلى مراد الله سبحانه ودعوة الخلق إلى سبيله بكل طريق موصلة إلى ذلك من نصيحة وتعليم وقتال وأدب وزجر ووعظ وغير ذلك(هُوَ اجْتَبَاكُمْ) أي: اختاركم واصطفاكم لهذا الغرض من بين الناس واختار لكم الدين ورضيه لكم واختار

لكم أفضل الكتب وأفضل الرسل فقابلوا هذه المنحة العظيمة بالقيام بالجهاد فيه حق القيام}.

التحذير من عدم إقامة شرع الله تعالى أو التنازل عن شيء من أحكامه

حذَّر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم والأمة من الإخفاق في إقامة حد من حدوده فقال تعالى في سورة المائدة:{ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ **وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللّهُ إِلَيْكَ** فَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ}(49). وقد حذر رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- هذه الأمة من عدم إقامة حدود الله تعالى، حتى ولو كانت فاطمة الزهراء ابنته- صلى الله عليه وآله وسلم- كما ورد في صحيح الإمام البخاري عن عروة بن الزبير رضي الله عنه قال:{ أن امرأة سرقت في عهد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في غزوة الفتح ففزع قومها إلى أسامة بن زيد يستشفعونه، قال عروة: فلما كلمه أسامة فيها تلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال **أتكلمني في حدٍّ من حدود الله؟** قال أسامة استغفر لي يا رسول الله، فلما كان العشي، قام رسول الله خطيبا فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال: أما بعد فإنما أهلك الناس قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، والذي نفس محمد بيده **لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها}**، ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتلك المرأة فقطعت يدها فحسُنت توبتها بعد ذلك وتزوجت، قالت عائشة فكانت تأتي بعد ذلك فأرفع حاجتها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم}.

التحذير من تقديم أي حكم على حكم الله تعالى

كما أن الله تعالى وضع لهذه الأمة منهجا واضحا لإقامة كامل شرعه ونهاها عن تقديم أي شرع آخر على شرعه فقال تعالى في سورة الحجرات:{ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ **لاَ تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ** وَاتَّقُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}(1)، وقيل معناه كما جاء في تفسير السعدي:{ لا تعجلوا بقضاء أمر في حروبكم أو دينكم قبل أن يقضي الله لكم فيه ورسوله، فتقضوا بخلاف أمر الله وأمر رسوله}، وقيل في تفسير القرطبي:{ أي لا تقدموا قولاً ولا فعلاً بين يدي الله وقول رسوله وفعله فيما سبيلُه أن تأخذوه عنه من أمر الدين والدنيا. ومن قدّم قولَه أو فعله على الرسول صلى الله عليه وسلم فقد قدّمه على الله تعالى؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم إنما يأمر عن أمر الله عز وجل}، وقيل في تفسير بن كثير:{ أي لا تسارعوا في الأشياء بين يديه أي قبله، بل كونوا تبعاً له في جميع الأمور حتى يدخل في عموم هذا الأدب الشرعي حديث معاذ رضي الله عنه حيث قال له النبي صلى الله عليه وسلم حين بعثه إلى اليمن: بمَ تحكم؟ قال: **بكتاب الله تعالى**، قال صلى الله عليه وسلم: فإن لم تجد؟ قال: **بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم**، قال صلى الله عليه وسلم: فإن لم تجد؟ قال رضي الله عنه: أجتهد رأيي، فضرب في صدره وقال: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم لما يرضي رسول الله صلى الله عليه وسلم}، وقيل في تفسير السعدي: { هذا متضمن للأدب مع الله تعالى، ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتعظيم والاحترام له، وإكرامه. فأمر الله عباده المؤمنين بما يقتضيه الإيمان بالله ورسوله، من امتثال أوامر الله، واجتناب نواهيه، وأن يكونوا ماشين، خلف أوامر الله، متبعين لسنّة رسول الله

صلى الله عليه وسلم في جميع أمورهم، وأن لا يتقدموا بين يدي الله ورسوله، فلا يقولوا حتى يقول، ولا يأمروا حتى يأمر}.

تحذير الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الأمة من عدم إقامة أحكام الله تعالى

كما حذّر رسول الله- صلى الله عليه وسلم- هذه الأمة من عدم إقامة شرع الله في أنفسهم كما ورد

عن عبد الله بن عمر قال: أقبل علينا رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فقال:{ يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن، لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا، **ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله** إلا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم، **وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله** ويتخيروا مما أنزل الله **إلا جعل الله بأسهم بينهم}**، وهذا حاصل اليوم.

أمثلة على تبني بعض الفرق أهداف مغايرة لهداف الأمة الاستراتيجي

إذا ما قورن هدف الأمة الاستراتيجي بهدف بعض الطوائف والفرق الإسلامية يرى تباين واضحا يتراوح من تصادم تام مع الإسلام إلى بعض

الشرود عنه، ومن أهم الطوائف التي تتبنى أهدافا تتصادم مع الإسلام هي الصفوية المتمثلة في الحكومة الإيرانية اليوم ومن شايعها، فغايتهم خروج المهدي المنتظر والذي يعتقد أهل السنة أنه من سلالة الحسن بن على رضي الله عنه، ويرى بعض الشيعة أنه ينتمي إلى الحسين بن علي رضي الله عنه، لكن الصفوية الإيرانية لهم هدف استراتيجي آخر من خروج المهدي يتضح منه العداء التام للإسلام والمسلمين والعرب وقريش، ويتضح العداء للإسلام بزعمهم أنّ المهدي:-

{ ينتقم **لآبائه الفرس** من **أهل الإسلام** الذين فتحوا فارس}، كما ورد في بحار الأنوار للمجلسي، فهل المهدي فارسيا مجوسيا؟ وإذا كان سينتقم من أهل الإسلام، فهل هو مسلم؟ وهل من سيقاتل معه من المسلمين؟

و{ **يهدم المسجد الحرام** حتى يرده إلى أساسه، **ومسجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى أساسه**، ويرد البيت إلى موضعه ويقيمه على أساسه}، كما ورد في كتاب الغيبة للطوسي.

و{ يقوم القائم بأمر جديد وكتاب جديد وقضاء جديد}، كما ورد في الغيبة لمحمد إبراهيم النعماني. أي يأتي بقرآن جديد وأحكام جديدة، والذي يعني الهدم الكامل للإسلام وشرائعه التي أمر الله تعالى بإقامتها.

ويحكم بـ{ حكم داود وسليمان عليهما السلام ولا يسأل عن بينة}، كما ورد في كتاب أصول الكافي، أي نقض تام لأحكام الإسلام.

أما العداء للعرب ولقريش فيتبين من ادعائهم أنّ المهدي المنتظر:-

و{ يبهرج(يقتل منهم) سبعون قبيلة من قبائل العرب}، كما ورد في كتاب بحار الأنوار للمجلسي.

و{ إذا خرج القائم(المهدي) لم يكن بينه وبين العرب وقريش إلا السيف، ما يأخذ منها إلا السيف}، كما ورد في الغيبة لمحمد إبراهيم النعماني، فلا أسرٌ ولا جزية ولا استتابة.

وبذلك يمكن أن نفهم التعاون التام والعداء الغير معلن بين هذه الدولة وبين كل من عادى الإسلام وأهله، ولقد نجحت هذه الطائفة في دعوتها بأن غلفت تلك الغايات بدعوى جذابة وهي" **حب آل البيت والانتصار لهم**"، فمَن من المسلمين لا يحب آل البيت وأهله؟ وحب آل البيت واجب أوجبه الله تعالى في كتابه حيث قال تعالى في سورة الشورى:{ ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ **قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى** وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ}(23)، وأن المسلمين السنة والشيعة يصلون على النبي وآله في كل صلاة في التشهد بقولهم:" اللهم صل على **محمد وعلى آل محمد** كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم وبارك على **محمد وعلى آل محمد** كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد"، فأين هذا من ذاك؟

وكأن رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- قد علم بغاية هذه الفئة وخروجها فأخبر كما ورد في صحيح الإمام البخاري عن أم المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-:{ يغزو جيش الكعبة فإذا كانوا ببيداء من الأرض يخسف بأولهم وآخرهم قالت: قلت: يا

رسول الله كيف يخسف بأولهم وآخرهم وفيهم أسواقهم ومن ليس منهم؟ قال: يخسف بأولهم وآخرهم ثم يبعثون على نياتهم}.

ومثل آخر للشرود عن هدف الأمة كجماعة أنصار السنة والتي جعلت الانتصار لسنة الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- معرفة وتطبيقا كغاية عظمى، وهذا جيد في حد ذاته كهدف مرحلي يتعلمه المسلم، ولكن لا بد من مواصلة المسير للوصول إلى الغاية العظمى التي أوجبها الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم لإقامة كامل شرع الله تعالى على هذه الأرض، فلا بد أن يكون ذلك الهدف بارزا متجليا في كل وقت وحين، وهذا لا يتعارض مع ضرورة وجود مختصين في كل علم من علوم الدين لتعليم الأجيال من الناس وإن استغرق ذلك كل حياتهم.

ومثلا آخر للمتصوفة الذين جعلوا غايتهم العظمى الوصول إلى درجة الإحسان، وهي مرتبة عالية،(وهي أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)، فهدفهم يصلح كهدف مرحلي يستفاد منه في إخلاص العمل لله تعالى، ولكن في سبيل الوصول إلى إقامة شرع الله كاملا على الأرض، ولذلك لا بد من جعل هدف الأمة الاستراتيجي معيار أساسيا لكل الأهداف التي يضعها الأشخاص أو الجماعات والتأكد من أنها تصب لصالح هدف الأمة الإلهي الاستراتيجي.

التحذير من بغي العلماء

ولأهمية ما تم ذكره حذر تعالى الأمة من بغي العلماء على بعضهم فقال تعالى في سورة البقرة:{ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ

وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمْ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ **بَغْيًا بَيْنَهُمْ** فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنْ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}(213)، وبيَّن تعالى أن الاختلاف دب بين الناس بعد الأنبياء ولنفس السبب حتى وصل إلى القتل فيما بينهم فقال تعالى في سورة البقرة:{ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ **وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَـكِنِ اخْتَلَفُواْ** فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا اقْتَتَلُواْ وَلَـكِنَّ اللّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ}(253)، ثم أكد الله تعالى على هذه الحقيقة بأن الاختلاف وقع بين أهل الكتاب بسبب بغي العلماء فقال تعالى في سورة آل عمران:{ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ الله الإِسْلاَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ **بَغْيا بَيْنَهُمْ** وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَات الله فَإِنَّ الله سَرِيعُ الحِسَابِ}(19)، وبيّن أنه وقع بين بني إسرائيل ولنفس السبب فقال تعالى في سورة الجاثية:{ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ(16) وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنْ الأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ الْعِلْمُ **بَغْيًا بَيْنَهُمْ** إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ}(17)،

وقد حذَّر الرسول– صلى الله عليه وآله وسلم– أشدَّ التحذير من ذلك لأنه يخرج من الملة، لما ورد في صحيح الإمام البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:{ من حمل علينا السلاح فليس منا}، لما في ذلك من تعارض مع هدي الله تعالى وهدي رسوله–

صلى الله عليه وآله وسلم– كما ورد في صحيح الإمام البخاري عن ابن عمر– رضي الله عنهما– قال:{ لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض}، فليراجع كل مسلم نفسه ولينظر أين يقع من ذلك كله.

ضرورة جعل الهدف الاستراتيجي معيار لكافة التوجهات والانجازات

إن معرفة كل فرد من أفراد هذه الأمة الهدف استراتيجي لها ضرورة لما له من الفوائد كثير، أهمها أنه يوجّه جهود الأفراد والجماعات والمؤسسات نحو هدف واحد وفي إطار شامل تتكامل فيه الجهود والغايات، خاصة في هذا الزمن الذي تشعبت فيه العلوم والدراسات والآراء والأهواء، فهذا الدين عظيم لا يستطيع فرد أو جماعة الإحاطة به من كل جوانبه. ومن فوائد معرفة الهدف الاستراتيجي أنه يحفز كل فرد من أفراد المسلمين لينجز شيء ولو بسيطا للوصول إلى تلك الغاية كلٌ بحسب قدرته، وأنه لا غنى لمسلم عن غيره من الأفراد والجماعات المسلمة، وبذلك يكثر العطاء ويسهل الوصول إلى الغاية المنشودة. كما وتمكّن معرفة ذلك الهدف الأمة من استخدامه كمعيار للمفاضلة بين الأهداف الرئيسة والأهداف الثانوية، وكمعيار لتقييم الأعمال والانجازات المرحلية ومقدار التقدم نحو الهدف المنشود، كما ويستفاد منه في تنسيق العمل بين المؤسسات في البلد الواحد وعلى مستوى العالم، ولتقدير الوقت اللازم لبلوغ الأهداف الأساسية أو المرحلية، وللنظر في إضافة خطط وأهداف مرحلية تصب لصالح ذلك الهدف من جميع جوانبه، كما ويوضح الرؤى المستقبلية ويساهم في تقليل تخبُّط الأفراد والمؤسسات، وفي إعادة النظر في الأولويات والمسؤوليات والتوجُّهات.

تفعيل الهدف الاستراتيجي

لتفعيل الهدف الاستراتيجي لا بد من اتخاذ الخطوات العلمية والعملية للوصول إلى ذلك، فكل فرد من الأمة مسئول عن ذلك كل بقدر طاقته ومكانته وتخصصه، ولقد ساهم وضوح الهدف الاستراتيجي للأمة في سرعة وصول الدين للناس، فرغم الفتن التي حيكت لهذه الأمة وخاصة في مطلع القرن الأول من مقتل الخلفاء الراشدون الثاني والثالث والرابع، إلا أنّ ذلك لم يصد المسلمون عن هدفهم الاستراتيجي وغايتهم العظمى، بل وصلوا بهذا الدين إلى حدود الصين وجمهوريات الاتحاد السوفيتي ومعظم قارة آسيا وأفريقيا ودخل الإسلام كثيراً من دول أوربا رغم قلة عددهم وعدَّتهم وحقَّق لهم سبحانه وعده في قوله تعالى في سورة محمد:{ يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِن تَنصُرُواْ اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ}(7)، فهذا الوعد لا يتغير بتغير الزمان أو المكان ولكن يتغير بتغير الغايات والأهداف، وأن الله منجز وعده حال عودة الأمة للهدف الذي أخرجت من أجله.

ولا بد من استقراء الواقع الذي تمرُّ به البشرية من تَدني الأمان وزيادة الجريمة والاغتصاب والسرقات وانحلال الأخلاق وغير ذلك ومقارنته بما طرحته الشريعة الإسلامية لحل تلك المعضلات الإنسانية، وإن ما وصلت إليه البنوك الإسلامية في هذا الجانب لخير دليل على ذلك، خاصة بعد الأزمة المالية العالمية والتي اعترفت فيه الدول الكبرى بجودة ما توصل إليه الاقتصاد الإسلامي في ذلك المجال.

فلا بد للأفراد والجمعيات والمؤسسات والشيع والأحزاب والدول مراجعة أهدافهم وتغيير خططهم لتصب لصالح الهدف المنشود، والذي يترتب عليه

إعادة تقييم الأعمال وإعادة النظر في كل ما يقدم في ضوء الهدف الاستراتيجي والغاية العظمى لهذا الدين، ولا بد من تسخير كل الموارد المالية والبشرية وتعاون كل المسلمين على هذه المعمورة في سبيل تقنين الشريعة الإسلامية في شتى مجالات الحياة لتتجلى رحمة الله تعالى للعالمين بعدالة ما فرضه تعالى في التشريع الإسلامي.

الباب الثاني: وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين

المبحث الأول: الإسلام والعلم والبيئة

الإسلام لا يتعارض مع العلم

الأسباب التي أدت وتؤدي إلى قبول الناس للإسلام والتمسك به أنه لم يتعارض مع أسس العلوم الطبيعية بل سبقها أحيانا، وأنّ الإسلام حض على العلم والتعلم، فبيّن أنّ مني الرجل هو المسئول عن ذكوة أو أنوثة الجنين، وتحدث عن أطوار خلق الجنين في الرحم، وأنّ الرحم قرار مكين له، وأشار إلى أنّ الجلد هو مركز الإحساس، وأنّ بصر الإنسان محدود فهو لا يبصر كثيرا من الأشياء، وبيّن أن الخلق من زوجين، وأن الكون في اتساع، وتحدث عن النجوم وبروج السماء، وتحدث عن الشمس والقمر وعن أفلاكهما، وعن الليل والنهار بتفصيل. كما وأشار إلى تكوير الأرض، وتحدث عن الجبال وظلمة البحار، وعن البرزخ بين البحار والحجر المحجور بين البحار والأنهار، وعن اللؤلؤ والمرجان، وعن الرياح وأنواع السحاب، وبيّن أنّ الماء ضرورة لكل حي، وعن اليخضور، وأشار إلى للبن وفوائد العسل والزيتون، وتحدث عن بعض الإعجاز في الذباب والنمل، كما وحث على عدم الإسراف في استخدام الموارد الطبيعية مثل الماء، وعلى العناية بالزرع والدواب ومختلف البهائم والطير، فهذا الانسجام واضح بين العلم والإسلام.

فليست الغاية من إقامة كامل شرع الله تعالى على هذه الأرض هدم الحضارة الحالية ولا إقامة محاكم التفتيش كالتي أقامتها الكنيسة لعلماء العلوم الطبيعية والتي كانت مهمتها ملاحقة الكتب الفلسفية أو العلمية التي يشتبه في انحرافها عن العقيدة المسيحية، فلم يعرف المسلمون قهراً لعلماء العلوم الحديثة والذي عانت منه أوربا والمسلمون من قبل القرن الثاني عشر(أي بعد ستة قرون من نزول القرآن الكريم) وحتى القرن التاسع عشر ومشارف القرن

العشرين،{ فوصلت الأعداد التي تم تعذيبها إلى أربعمائة ألف من المسيحيين وما يقارب من ثلاثة ملايين مسلم، ومن أشهر الذين ماتوا حرقاً(جان هسّ)، والفيلسوف الايطالي(جيوردانو برينو) الذي قطع لسانه ورمي في النار، والعالم الشهير(غاليليو) والذي تنازل عن نظريته، والعالم(كوبر نيكوس) القائل بدوران الأرض حول الشمس إذ لم ينج منها إلا بسبب حذره الشديد، وفي أواخر القرن السادس عشر وضعت كتب(إبراسم ولوثر) على قائمة الكتب الممنوعة بل وأحرقت في الساحات العامة، وفي القرن السابع عشر حصل الشيء نفسه للكاتب(ديكارت) الذي اعتبرت كتبه خارجة على الدين، وأما الفيلسوف(سبينوزا) فقد عانى من التعصب اليهودي والمسيحي في آن واحد، وأما في القرن الثامن عشر فإن المعركة اندلعت بين فلاسفة التنوير وزعماء الأصولية المسيحية والتي توجت بانتصار عصر التنوير على الظلامية المسيحية، وظلت الكنيسة تحارب قوى الاستنارة وتعرقل التقدم طيلة القرن التاسع عشر وحتى مشارف القرن العشرين كما حصل لرجل الدين الأب(الفريد لوازي) والذي فصل من جميع مناصبه الجامعية والذي اثبت أن عيسى ابن مريم(عليه السلام) هو نبي ولا يتصف بصفة الألوهية، ثم فصل من الكنيسة عام 1908م، ووضعت كتبه على لائحة الكتب المحرمة عام 1905م، وأصدر البابا(بيوس العاشر) عندئذ قرارا بإدانة الاشتراكية والليبرالية والديمقراطية وحقوق الإنسان ومجمل الأفكار الحديثة واعتبرها كفرا ما بعده كفر، واندلع صراع من جديد ولم يحسم إلا عام 1962م بعد انعقاد المجمع الكنسي الشهير باسم(الفاتيكان الثاني) عندما شعر المسيحيون انه لا جدوى

من مناطحة العصر إلى ما لا نهاية وأنهم سيخسرون آخر مواقعهم إذا ما استمروا على خط التشدُّد والتَّزمُّت}، كما ذكر في الموسوعة الحرة.

ومن هذا كله يمكن لنا أن نفهم لم يصر الغرب على" فصل الدين عن الدولة" وذلك للتعارض شبه التام بين الدين المسيحي والعلوم الطبيعية بسبب التحريف الذي طرأ على كتبهم السماوية، فمحاكم التفتيش هي أكبر كارثة عرفتها الإنسانية على العلم والعلماء، أما هذا الدين فلازال يقَّدم للعلم الحديث حقائق جديدة، فهذا القرآن كما وصفه رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم-:" لا تنقضي عجائبه" وكما قال تعالى في محكم كتابه في سورة فصلت:{ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}(53)، فنذكر بعضا منها ولا يزال القرآن والسنة يحويان الكثير من تلك الحقائق العلمية وليس المقام لحصرها:-

الحض على العلم والتعلم

حضَّ الإسلام على تعلم العلوم وبيَّن أنه لا يمكن مساواة العالم بغيره فقال تعالى في سورة الزمر:{ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ **هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ** إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ}(9)، وأمر تعالى بالقراءة وبيَّن أهمية التدوين بالقلم فقال تعالى في سورة إقرء:{ **اقْرَأْ** بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ(1) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ(2) **اقْرَأْ** وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ(3) **الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ**}(4)، كما حضَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على تعلم أي علم نافع كما ورد في صحيح الإمام مسلم عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-:{ من نفَّس عن

مؤمن كربة من كرب الدنيا نفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسَّر على معسر يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، **ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما** سهَّل الله له به طريقا إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله **يتلون كتاب الله ويتدارسونه** بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفَّتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده، **ومن أبَطأ به عمله لم يسرع به نسبه}**، وبيَّن أن فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وأن العلماء ورثة الأنبياء، كما ورد في سنن الإمام الترمذي عن قيس بن كثير رضي الله عنه قال:{ قدم رجل من المدينة على أبي الدرداء وهو بدمشق فقال ما أقدمك يا أخي؟ فقال: حديث بلغني أنك تحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أما جئت لحاجة؟ قال: لا، قال: أما قدمت لتجارة؟ قال: لا، قال: ما جئت إلا في طلب هذا الحديث؟ قال فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:{ من **سلك طريقا يبتغي فيه علما** سلك الله له طريقا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها **رضاء لطالب العلم**، وإن **العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض** حتى الحيتان في الماء، **وفضل العالم على العابد** كفضل القمر على سائر الكواكب، **وإن العلماء ورثة الأنبياء**، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما **إنما ورثوا العلم** فمن أخذ به أخذ بحظ وافر}.

أولا: الإسلام والإنسان

المني يحمل جنس الجنين

أشار القرآن الكريم إلى أن مني الرجل هو المسؤول عن جنس الجنين ذكر أو أنثى فقال في سورة النجم:{ وَأَنَّهُ خَلَقَ **الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَى**(45) **مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى**}(46) وفصل في ذلك عن خلق البشر فقال في سورة القيامة:{ أَيَحْسَبُ **الإِنسَانُ** أَن يُتْرَكَ سُدًى(36) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً **مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى**(37) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى(38) **فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَى**}(39).

أطوار خلق الإنسان

تحدث القرآن الذي لا تنقضي عجائبه عن حقائق مراحل خلق الإنسان في بطن الأم في سور متعددة وبصور أثبتها العلم الحديث فقال في سورة الحج:{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا **خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ** ثُمَّ مِن **نُّطْفَةٍ** ثُمَّ مِنْ **عَلَقَةٍ** ثُمَّ مِن **مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ** لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاء إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ **طِفْلاً** ثُمَّ لِتَبْلُغُوا **أَشُدَّكُمْ** وَمِنكُم مَّن **يُتَوَفَّى** وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى **أَرْذَلِ الْعُمُرِ** لِكَيْلا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ}(5)، كما تكلم عن حقيقة تحّول الجنين من مضغة إلى عظام ثم الاكتساء باللحم فقال في سورة المؤمنين:{ ثُمَّ خَلَقْنَا **النُّطْفَةَ عَلَقَةً** فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ **مُضْغَةً** فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ **عِظَاماً** فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ **لَحْماً** ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ **خَلْقاً آخَرَ** فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ}(14)، وكما قال في سورة آل عمران:{ هُوَ الَّذِي

يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}(6)، وبين تعالى أن صورة الإنسان تركب تركيبا في رحم الأم كما قال تعالى في سورة الانفطار:{ يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ(6) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ(7) فِي أَيِّ **صُورَةٍ مَّا شَاء رَكَّبَكَ**}(8).

الرحم قرار مكين للجنين، والجلد مركز الإحساس، ومحدودية بصر الإنسان

وصف الله تعالى الرحم وصفاً دقيقاً في القرآن الكريم وتحدث عن حقيقة الأرحام كونها قراراً مكين لحماية الجنين أثناء حركة الأم لمختلف أعمالها فقال تعالى في سورة المؤمنون:{ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي **قَرَارٍ مَّكِينٍ**}(13)، كما بيَّن تعالى أن الجلد هو مركز الإحساس في جسم الإنسان فقال تعالى في سورة النساء:{ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ **بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ** إِنَّ اللّهَ كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً}(56)، وأشار الله تعالى إلى الحقيقة العلمية التي تبين أن بصر الإنسان محدود جدا فلا يستطيع رؤية كثير من الأشياء التي حوله، وقد أقسم الله تعالى بما يبصره الإنسان وما لا يُبصِرُه ليلفت النظر إلى وجود أشياء كثيرة لا يراها الإنسان فقال في سورة الحاقة:{ فَلا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ(38) **وَمَا لا تُبْصِرُونَ**(39) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ}(40)، كما أشار تعالى إلى أمور تجري في هذه الحياة لا يستطيع الإنسان ولا من حوله من البشر إبصارها حال الوفاة فقال تعالى في سورة الواقعة:{ فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ(83) وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ(84) **وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لا تُبْصِرُونَ**}(85)، أي أن ملائكة الرحمن أقرب إلى ذلك

المحتضر من أهله الذين حوله كون الملائكة مخلوقين من نور ولكن لا يمكن رؤيتهم بالعين التي وهبها تعالى للإنسان.

ثانيا: الكون والأرض

الخلق من زوجين

يؤكِّد الإسلام أن أساس المخلوقات في هذا الكون من زوجين سواء ذرات مكونه من نواة موجبة وإلكترونات سالبة أو ذكر وأنثى أو غير ذلك فقال في سورة الذاريات:{ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا **زَوْجَيْنِ** لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}(49)، وأشار كذلك إلى الثمرات التي فيها العضو المذكر والمؤنث فقال في سورة الرعد:{ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَاراً **وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ** يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}(3)، فليست الدجاجة قبل البيضة ولا البيضة قبل الدجاجة بل الديك والدجاجة أي الذكر والأنثى هما الأصل وكذلك الإنسان آدم وحواء وكذلك كل الخلق.

اتِّساع الكون والبروج والنجوم والشمس والقمر

تحدث القرآن عن الحقيقة العلمية التي تشير إلى أن الكون في اتساع مستمر كما قال في سورة الذاريات:{ وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ **وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ**}(47)، وهذا ما يؤيده العلم الحديث، كما وأشار إلى جعل النجوم مرشد ودليل في ظلمات البرّ والبحر فقال تعالى في سورة الأنعام:{ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ **النُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا** فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}(97)، وقال في سورة انحل:{ وَعَلامَاتٍ **وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ**}(16)، كما وتحدث عن أن

بروج السماء فقال في سورة الحجر:{ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي **السَّمَاء بُرُوجاً** وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ}(16)، وقال تعالى في سورة الفرقان:{ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي **السَّمَاء بُرُوجاً** وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً وَقَمَراً مُّنِيراً}(61)، وأقسم بها فقال في سورة البروج:{ **وَالسَّمَاء ذَاتِ الْبُرُوجِ**}(1)، كما وأشار سبحانه وتعالى إلى عدَّة حقائق بخصوص الشمس والقمر، فَذِكْرُ الشمس يسبق ذِكْرَ القمر عادة في القرآن الكريم للدلالة على عظم حجمها ودوران الكواكب التابعة لها حولها، وأشار إلى عددها وهي أحد عشر كما ذكر تعالى فقال في سورة يوسف:{ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ **أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ** رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ}(4)، كما ذكر حقيقة أن الشمس ضياء أي مصدرٌ للنور وأن القمر نورٌ أي عاكسا له، وذكر سبحانه حقيقة منازل القمر، وذكر سبحانه الغاية من الشمس والقمر لمعرفة عدد السنين والحساب في إشارة إلى السنة الشمسية والقمرية فقال تعالى في سورة يونس:{ هُوَ الَّذِي جَعَلَ **الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُوراً** وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ **لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ** مَا خَلَقَ اللّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}(5)، كما ذكر دقة حركة الشمس والقمر في فقال في سورة الأنعام:{ فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً **وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَاناً** ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ}(96)، وقال في سورة الرحمن:{ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ}(5)، كما وبيّن المدارات المستقلة للشمس والقمر والنجوم فقال تعالى في سورة الأنبياء:{ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ **كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ**}(33)، وكذلك قال تعالى في سورة يس:{ لا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ **وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ**}(40).

الليل والنهار

غالبا ما يجيء ذكر الليل في القرآن قبل النهار للدلالة على حقيقة أن الظلام هو أساسٌ في هذا الكون فقال تعالى في سورة الليل:{ **وَاللَّيْلِ** إِذَا يَغْشَى(1) **وَالنَّهَارِ** إِذَا تَجَلَّى}(2)، وقال تعالى في سورة الحج:{ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ **اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ** وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ}(61)، وقال تعالى في سورة الإسراء:{ وَجَعَلْنَا **اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ** آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً}(12)، وبيّن أن الليل أو الظلمة هو الأصل في هذا الكون بحيث أنه لو فتح للبشر طريقاً إلى السماء في وضح النهار وظل الإنسان يعلو فيه حتى يخرج من الغلاف الجوي فسيجد أن الليل قد أحاط به مرة أخرى فقال تعالى في سورة الحجر:{ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم **بَاباً مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ**(14) لَقَالُواْ إِنَّمَا **سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ**}(15).

تكوير الأرض واتزانها بالجبال وظلمة البحار

كما وأشار تعالى إلى كروية الأرض وتعاقب الليل والنهار فقال تعالى في سورة الزمر:{ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ **يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ** وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى أَلا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ}(5)، وأشار إلى سرعة دوران الأرض فقال تعالى في سورة النمل:{ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً **وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ** صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ}(88)، وتحدث عن فائدة الجبال في اتزان واستقرار

الأرض فقال تعالى في سورة النازعات:{ **وَالأَرْضَ** بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا(30) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءهَا وَمَرْعَاهَا(31) **وَالْجِبَالَ** أَرْسَاهَا(32) مَتَاعاً لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ}(33)، ومحافظتها على إرساء القشرة الأرضية في آيات كثيرة فقال تعالى في سورة النبأ:{ لَمْ نَجْعَلِ **الأَرْضَ** مِهَاداً**(6) وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً**}(7)، وقال في سورة النحل:{ وَأَلْقَى فِي **الأَرْضِ رَوَاسِيَ** أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَاراً وَسُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}(15)، كما وأشار إلى حقيقة الظلام الدامس في أعماق البحار العميقة فقال في سورة النور:{ أَوْ **كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ** يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ **ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا** وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ}(40)، وأقرَّ العلم بذلك حديثا.

البرزخ والحجر المحجور واللؤلؤ والمرجان

تحدَّث القرآن الكريم عن الحجر المحجور بين البحار والأنهار، وعن البرزخ بين البحار فقال في سورة الفرقان:{ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا **عَذْبٌ فُرَاتٌ** وَهَذَا **مِلْحٌ أُجَاجٌ** وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا **بَرْزَخاً وَحِجْراً مَّحْجُوراً** }(53)، وأثبت العلم أنّ الحجر المحجور هي منطقة تعيش فيها بعض الأحياء لا يمكن لها العيش في البحار ولا في الأنهار، كما وتحدث عن حقيقة وجود البرزخ بين مختلف البحار كما قال في سورة الرحمن:{ مَرَجَ **الْبَحْرَيْنِ** يَلْتَقِيَانِ(19) **بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لا يَبْغِيَانِ**(20) فَبِأَيِّ آلاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ(21) **يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ**}(22).

الرياح وأنواع السحاب

حدَّث القرآن عن بعض وظائف الرياح فقال تعالى في سورة فاطر:{ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ **الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ** فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ}(9)، وبيَّن أن الرياح تحمل السحاب الثقال لما فيها من مطر يوزن بملايين الأطنان فيستبشر بها الناس فقال في سورة الأعراف:{ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ **الرِّيَاحَ** بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا **أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً** سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}(57)، وذكر وظيفتها للتأليف السحاب وإنزال المطر فقال في سورة النور:{ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَاباً ثُمَّ **يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ** ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَاماً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ}(43). وتحدَّث تعالى عن نوعين من السحب التي يكون منها المطر المنبسطة والركامية فقال تعالى في سورة الروم:{ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً **فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاء** كَيْفَ يَشَاءُ **وَيَجْعَلُهُ كِسَفاً** فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ}(48)، وأما السحب الركامية والتي ينزل منها المطر والبرد فقال تعالى في سورة النور:{ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ **يُزْجِي** سَحَاباً ثُمَّ **يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ** ثُمَّ يَجْعَلُهُ **رُكَاماً** فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ وَيُنَزِّلُ **مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ** فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ}(43).

ضرورة الماء للأحياء وتكون الثمار من اليخضور

أشار القرآن الكريم إلى أن الماء ضروري لخلق كلّ شيء حي فقال في سورة الأنبياء:{ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا **وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ** أَفَلا يُؤْمِنُونَ}(30)، وعن النبات فقال تعالى في سورة الأنعام:{ وَهُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ **مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ** فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُّتَرَاكِباً وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُواْ إِلِى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}(99)، كما وتحدَّث تعالى عن فائدة اليخضور وهو المادة الخضراء في الزروع وأنه المسؤول عن تصنيع الحبوب والفواكه والتمور فقال تعالى في سورة الأنعام:{ وَهُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ **مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ** فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ **خَضِراً** نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُّتَرَاكِباً وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا **قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ** وَجَنَّاتٍ **مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ** مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُواْ إِلِى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}(99).

استخلاص اللبن وفوائد العسل والزيتون

تكلم الله سبحانه وتعالى عن حقيقة استخلاص اللبن من بين الفرث والدم فقال تعالى في سورة النحل:{ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ **مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَناً خَالِصاً** سَآئِغاً لِلشَّارِبِينَ}(66). كما وذكر عزَّ وجلَّ عن تصنيع العسل في بطون النحل وكونه شفاء للناس فقال في سورة النحل:{ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى **النَّحْلِ** أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا

يَعْرِشُونَ(68) ثُمَّ **كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ** فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ **مِن بُطُونِهَا** شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ **فِيهِ شِفَاء لِلنَّاسِ** إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}(69)، وأكدَّ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما جاء في صحيح الإمام البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول:{ إن كان في شيء من أدويتكم أو يكون في شيء من أدويتكم خير ففي شرطة محجم أو **شربة عسل** أو لذعة بنار توافق الداء وما أحب أن أكتوي}. كما وأشار إلى فوائد الزيتون وأقسم تعالى به للدلالة على أهميته فقال في سورة المؤمنون:{ **وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاء تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلآكِلِينَ**}(20)، وأقسم تعالى بالزيتون فقال تعالى في سورة التين:{ وَالتِّينِ **وَالزَّيْتُونِ**}(1)، كما وأوصى رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- باستخدامه في الأكل والادِّهان به كما جاء في سنن الإمام الترمذي عن أبي أسيد رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم:{ **كلوا الزيت وادهنوا به** فإنه من شجرة مباركة }.

الإعجاز في خلق الذباب والنمل

تحدث القرآن عن معجزتين في آية واحدة وتحدى جميع الخلق أن يخلقوا شيء من ذوات الأرواح، وعن ما أودعه تعالى في خلق الذباب من استحالة استرجاع ما أكله الذباب بسبب أن العصارات المعوية تخرج من خرطومه فتهضم الطعام خارج جسمها ثم تمتصه إلى داخل جسمها فقال تعالى في سورة الحج:{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ **إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ** وَإِن **يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لا يَسْتَنقِذُوهُ** مِنْهُ

ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ }(73). كما وأشار إلى قسوة قشر النمل وأنه يتحطم كالزجاج أو الصخر فقال تعالى في سورة النمل:{ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا **يَحْطِمَنَّكُمْ** سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ }(18).

الأمر بالمحافظة على البيئة من ماء وزرع ودواب وبَهائم وطير

حضَّ هذا الدين على العناية بالبيئة بكافة أشكالها من هواء وماء وشجر وطير وحيوان وغيرها للعمل على صيانتها، وحثَّ على عدم الإسراف في كل الأوجه فقال تعالى في سورة الأنعام:{ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ **وَلاَ تُسْرِفُواْ** إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ}(141)، وكذلك في استخدام الماء كما جاء في مسند الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم مرَّ بسعد وهو يتوضأ، فقال: **ما هذا السرف** يا سعد؟ قال: أفي الوضوء سرف؟ قال: نعم، **وإن كنت على نهر جار}**، ونظراً لأهمية الزرع لحياة الناس والدواب والطيور حثَّ الإسلام على العناية بها كما ورد في صحيح الإمام البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:{ ما من مسلم **غرس غرسا** فأكل منه إنسان أو دابة إلا كان له صدقة}، كما ورغب في إحياء الأرض البور بزراعتها كما جاء في سنن الإمام أبي داود عن يحيى بن عروة عن أبيه رضي الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:{ **من أحيا أرضا ميتة فهي له}**، كما حث على العناية بالزرع كما

جاء في صحيح الإمام مسلم عن جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على أم مبشر الأنصارية في نخلٍ لها فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم:{ من غرس هذا النخل؟ أمسلم أم كافر؟ فقالت: بل مسلم فقال: لا يغرس مسلم غرسا ولا يزرع زرعا فيأكل منه إنسان ولا دابة ولا شيء إلا كانت له صدقة}، كما ونهى عن إتلاف كل ما يستفاد منه كحرق النخل والشجر وعن قتل البهيمة إلا لحاجة، كما جاء في سنن الإمام سعيد بن منصور عن القاسم مولى عبد الرحمن رضي الله عنه قال:{ أستأذن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغزو فأذن له فقال: إن لقيت فلا تجبن، وإن قدرت فلا تغلل، **ولا تحرقنَّ نخلا، ولا تعقرها، ولا تقطع شجرة مطعمة، ولا تقتل بهيمة** ليست لك فيها حاجة واتق أذى المؤمن}، كما ودعا للرأفة بالحيوان كما جاء في صحيح الإمام البخاري عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال:{ بينما رجلٌ يمشي بطريقٍ أشتدّ عليه العطَشُ، فوجدَ بئراً فنزَلَ فيها فشرِب، ثمَّ خرجَ فإذا كلبٌ يَلهَثُ يأكلُ الثَّرى منَ العطَشِ، فقال الرجل: لقد بلغَ هذا الكلبَ منَ العطش مثلُ الذي كان بلغَ بي، فنزلَ البئرَ فملأَ خُفَّه ثم أمسَكَهُ بفيهِ فسقىٰ الكلبَ، **فشكرَ اللّهُ له فغفَر له** قالوا: يا رسولَ الله، وإنَّ لنا في البَهائم أجراً؟ فقال: **في كلِّ ذاتِ كبِدٍ رَطبةٍ أجرٌ}**، وحثَّ على عدم الإساءة إليها كما ورد في سنن الإمام أبي داود عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه قال:{ أردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه ذات يوم فأسرَّ إلي حديثا لا أحدث به أحدا من الناس، وكان أحب ما استتر به رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته هدفا أو حائش نخل قال: فدخل حائطا لرجل من الأنصار فإذا جمل، فلما رأي النبي صلى الله عليه وسلم حنَّ وذرفت عيناه

فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم فمسح ذفراه فسكت فقال من رب هذا الجمل؟ لمن هذا الجمل؟ فجاء فتى من الأنصار فقال: لي يا رسول الله، فقال: **أفلا تتقي الله في هذه البهيمة** التي ملكك الله إياها! فإنه شكى إلي أنك **تجيعه وتدئبه**}، وأن الإنسان يدخل النار بسبب تعذيب حيوان كما في الحديث الذي ورد في صحيح الإمام البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:{ عُذِّبتْ امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت **فدخلت فيها النار** لا هي أطعمتها ولا سقتها إذ حبستها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض}، كما ورد في مسند الإمام أحمد عن بن عمر رضي الله عنهما أنه دخل على يحيى بن سعيد وغلام من بني يحيى رابط دجاجة يرميها، فمشى إليها بن عمر حتى حلها ثم أقبل بها وبالغلام معه فقال: ازجروا غلامكم على أن يصبر هذا الطير للقتل، فإني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن **تصبر بهيمة أو غيرها للقتل**}، فما أعظمه من دين، كما ونهى الإسلام عن أي شيء فعن عمرو بن الشريد رضي الله عنه قال: سمعت الشريد يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول:{ من قتل عصفورا **عبثا** عجَّ إلى الله عزَّ وجلَّ يوم القيامة منه يقول: يا رب إن فلانا قتلني عبثا ولم يقتلني لمنفعة}.

خلاصة المبحث

فهل عُرِفَ في التاريخ الإسلامي من قتل لعلماء الطبيعة؟ أولم يضع علماء المسلمين قواعد كثير من العلوم المعاصرة دون تعرضهم لأي ضغوط أو تجريح أو عقوبة؟ فأين هذا مما فعل بعلماء أوربا والمسلمين في عهد محاكم

التفتيش؟ فمن هذا كله يتبين سبب قبول الناس لهذا الدين بمختلف حضاراتهم ولغاتهم وألوانهم وعاداتهم وتقاليدهم، ومازال هذا الدين يحوي الكثير لهذه البشرية لتنهل منه، فمحاسن هذا الدين لا يمكن حصرها كما أشرنا، فعلى كل مسلم أن يعرف الكثير عن دينه ويعمل على مقارنة ما جاء به الدين الإسلامي مع الشرائع والأنظمة والقوانين الوضعية، والوقوف على ما تمييز به الدين الإسلامي على غيره ليكون وسيلة لدعوة الناس للإسلام.

الباب الثاني

المبحث الثاني: إصلاح الفرد

أرتضى الناس الإسلام دينا لأنه أولى أهمية بالغة للرقي بالنفس البشرية، وذلك عن طريق تقوية الرقابة الذاتية للفرد بتعميق الإيمان بالله وحده لا شريك له، والإيمان بأنّ علمه تعالى مطلق لا حد له فلا تخفى عليه خافية، بل هو تعالى مطلع على كل ما تخفيه الصدور وما يدور في السماوات والأرض، ثم أكدَّ الإسلام على تمام الاستقلالية الشخصية للفرد، فحرره من كل القيود الأسرية والاجتماعية وحمّله المسؤولية التامة عن كل ما يصدر عنه، ثم أوجب على الفرد الإيمان باليوم الآخر لإقامة العدل المطلق بين الخلق ومحاسبة كل إنسان على ما قدم في حياته، ثم إن الإسلام فتح باب التوبة والمغفرة على مصراعيهما مهما كانت الخطايا والذنوب دون أي واسطة، كما وأكد على تبديل كل السيئات إلى حسنات إذا صدقت وخلصت النية، وبذلك يزيل الإسلام كل العوائق التي تحول دون تصحيح السيرة والحال، ولذلك يحرص المسلم على مراقبة الله تعالى في جميع أفعاله وطيلة حياته في سره وعلانيته، وهذا ما ينبغي لكل مسلم أن يتحدث عنه متى ما سنحت له الفرصة.

أولا: الإيمان بالله تعالى ووحدانيته

للرقي بالنفس البشرية لا بد من الإيمان بالله وحده لما له من أهمية كبيرة في تعزيز الرقابة الذاتية، فلقد حارت البشرية في التعرف على حقيقة خالقها واتجهت كل الاتجاهات، فمنها مؤمن وكافر، حتى عُبد كل شيء، وكان لقبائل العرب ثلاثمائة وستون صنما حول الكعبة، أما حال الأمم السابقة والحالية فحدث ولا حرج وقد خالط الإشراك بالله تعالى الأمم السابقة مثل اليهود والنصارى كما ذكر تعالى في سورة التوبة فقال:{ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ

وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ}(30) ، فردَّ الله تعالى عليهم منطقاً وعقلاً نافياً الشريك عنه فقال في سورة الأنعام:{ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ **أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ** وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}(101) ثم دحض تعدد الآلهة فقال تعالى في سورة الإسراء:{ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذاً **لاَّبْتَغَوْاْ إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً**}(42) ، أي لتنازعت تلك الآلهة للوصول إلى العرش، أو لانفرد كل إله بما خلق كما قال تعالى في سورة المؤمنون:{ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ **إِذاً لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ** سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ}(91) ، وبهذا يكفّ دين هذه الأمة عناء البشرية ويرد على كل النظريات والفلسفات وما كتب على مر التاريخ، والقرآن الكريم زاخر بذلك.

ثانيا: العلم المطلق لله تعالى

أكد الإسلام على علم الله تعالى مطلق لتعزيز الرقابة الذاتية للفرد، وأنّ علمه تعالى لا ينحصر فيما يفعله الناس بل هو مطلع على كل ما تخفيه الصدور، وكل ما يدور في السماوات والأرض وما بينهما كما قال تعالى في سورة آل عمران:{ قُلْ **إِن تُخْفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللّهُ** وَيَعْلَمُ **مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ** وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}(29) ، وأنه تعالى مطلع على ما تخفي الصدور فقال تعالى في سورة طه:{ وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ **فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى**}(7) وكل ذلك مدون كما قال تعالى في سورة الكهف:{ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا

الْكِتَابِ **لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا** وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً}(49) ، وأنه تعالى لا يغيب عنه شيء ولو مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض كما قال تعالى في سورة يونس:{ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ **وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ** }(61)، بل إن علمه سبحانه محيط بكل ما في الكون كما قال تعالى في سورة الأنعام:{ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ **وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ**}(59)، والآيات في هذا الشأن كثيرة ليس المقام لحصرها.

ثالثا: الاستقلالية الشخصية

لتعزيز الرقابة الذاتية أكد الإسلام على الاستقلالية الشخصية ليكون الإنسان مسؤول المسؤولية تامة عن كل ما يصدر عنه، وأنه غير مسؤول عن أفعال غيره بغضّ النظر عن صلة القرابة أو المركز الاجتماعي أو الوظيفي، فأكَّد سبحانه على تلك الاستقلالية فقال تعالى في سورة الأنعام:{ قُلْ أَغَيْرَ اللّهِ أَبْغِي رَبّاً وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ **وَلاَ تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى** ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ}(164)، وأكَّد على أن الإنسان لا يتحمل إثم غيره ولو كان من قرابته فقال تعالى في سورة فاطر:{ وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ **وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى** إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَمَن تَزَكَّى فَإِنَّمَا

يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ}(18)، وأكد الإسلام أنّ الأمم والطوائف والأجيال ليست مسئولة إلاّ عما يصدر عنها كما بيَّن سبحانه فقال في سورة البقرة:{ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ **وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**}(134)، فليس السنة ولا الشيعة اليوم مسئولان عما حصل لآل البيت الكرام بل إن كل جيل مسؤول عما فعله في حياته ومحاسب عليه أما مالك الملك يوم القيامة، ولقد أكد رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الأمر في الحديث الذي ورد في صحيح الإمام البخاري عن عدي بن حاتم قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم:{ ما منكم من أحد إلا وسيكلمه الله يوم القيامة **ليس بين الله وبينه ترجمان** ثم ينظر فلا يرى شيئا قدامه ثم ينظر بين يديه فتستقبله النار فمن استطاع منكم أن يتقي النار ولو بشق تمرة}، وحتى لا يغتر الإنسان بما يحصل عليه الكفار والمجرمون وأمثالهم من حظوظ في الدنيا، بيَّن تعالى أن ذلك ليس آخر المطاف بل هو متاع قليل ثم العقاب العظيم، وأن الصالحين هم الخالدون في الجنان فقال تعالى في سورة آل عمران:{ لاَ يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُواْ فِي الْبِلاَدِ(196) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ(197) لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلاً مِّنْ عِندِ اللّهِ وَمَا عِندَ اللّهِ خَيْرٌ لِّلأَبْرَارِ}(198) فالاستقلالية الشخصية تامة والحساب والثواب والعقاب فردي وأن الإنسان محاسب على مقاصده من الأعمال.

رابعا: الإيمان باليوم الآخر

ولتأصيل الرقابة الذاتية للفرد أوجب الإسلام الإيمان بحقيقة اليوم الآخر لإقامة العدالة المطلقة بين جميع الخلائق لينال كلٌ جزاءه، فليست الحياة عبثا ولكن الإنسان مختبر في كل أعماله، ثم تتضح نتيجة تلك الأعمال في ذلك اليوم، ولقد بيّن تعالى أن جميع الخلق يرجعون إلى خالقهم للعرض الأكبر وللحساب والجزاء فقال تعالى في سورة المؤمنون:{ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ(115) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ}(116)، ثم بيّن تعالى أنّ موازين الأعمال متناهية في الدقة فلا ظلم البتة كما قال تعالى في سورة الأنبياء:{ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً **وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ** أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ}(47)، وبيّن تعالى أن الإنسان محاسب عن كل ما قدم في حياته فقال في سورة البقرة:{ **وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ** وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ}(281)، وبيَّن تعالى أنه يقضي يوم القيامة بين خصومات بين جميع الخلق فقال تعالى في سورة الحج:{ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}(17)، وأن الجزاء إما جنة أبدية أو نار سرمدية كما بيَّن تعالى في سورة النحل فقال:{ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُاْ السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ(28) فَادْخُلُواْ أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ(29) وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْاْ مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْراً لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ(30) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا

مَا يَشَآؤُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللهُ الْمُتَّقِينَ(31) الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}(32)، وبهذا الإيمان تتعزَّز الرقابة الذاتية وتتزكى النفس البشرية ويطمئن الإنسان لوجود عدالة مطلقة في هذا الكون.

خامسا: فتح باب المغفرة

حتى لا ييأس الإنسان من رحمة الله تعالى بسبب الذنوب التي اقترفها طيلة حياته فتحبسه عن فعل الخير وليتدارك ما بقي من حياته، فتح الإسلام باب المغفرة على مصراعيه مهما كان الماضي، فالإسلام يقبل التوبة مهما كان عظم الخطايا ولذلك بشَّر الله تعالى بغفران كل السيئات فقال سبحانه في سورة الزمر:{ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ **أَسْرَفُوا عَلَى** أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ **إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً** إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}(53)، بل إن الله تعالى يبدل السيئات إلى حسنات إذا صدقت التوبة كما قال تعالى في سورة الفرقان:{ وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً(68) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً(69) إِلا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً **فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ** وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً}(70)، كما بيَّن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن السيئات تبدَّل إلى حسنات في الحديث الذي ورد في صحيح الإمام مسلم عن أبي ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يقول الله:{ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد ومن جاء بالسيئة فجزاؤه سيئة مثلها أو أغفر ومن تقرَّب مني شبرا تقربت منه ذراعا ومن تقرَّب منى ذراعا تقربت منه باعا

ومن أتاني يمشي أتيته هرولة **ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئا لقيته بمثلها مغفرة** }، كما وإن الله تعالى يفرح بتوبة العبد أشد الفرح كما ورد في صحيح الإمام مسلم عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:{ لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينا هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح اللهم أنت عبدي وأنا ربُّك، أخطأ من شدة الفرح}.

بل إن الله تعالى يبقي للإنسان إذا أسلم كل حسناته التي عملها قبل إسلامه في الحديث الذي ورد في صحيح الإمام مسلم عن عروة بن الزبير أن حكيم بن حزام أخبره أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أي رسول الله أرأيت أمورا كنت أتحنث بها في الجاهلية من صدقة أو عتاقة أو صلة رحم أفيها أجر؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:{ **أسلمت على ما أسلفت من خير**}، ثم إن الله تعالى يضاعف حسنات المسلم إلى سبعمائة ضعف كما قال تعالى في سورة البقرة:{ مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ **كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ** وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}(261)، وأكَّد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على ذلك في الحديث الذي ورد في صحيح الإمام البخاري عن عطاء بن يسار أخبره أن أبا سعيد الخدري أخبره أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:{ إذا أسلم العبد فحسن إسلامه يكفِّر الله عنه كل سيئة كان زلفها وكان بعد ذلك القصاص **الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف** والسيئة بمثلها إلا أن يتجاوز الله

عنها}، أما إذا أسلم أهل الكتاب فإن الله تعالى يضاعف أجرهم ترغيباً لهم لدخول هذا الدين وكذلك العبد المملوك والرجل العاتق للمرأة كما جاء في الحديث الذي ورد في صحيح الإمام البخاري عن أبي بُردة عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:{ **ثلاثة لهم أجران** رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم والعبد المملوك إذا أدى حق الله وحق مواليه ورجل كانت عنده أمة يطؤها فأدبها فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها فتزوجها فله أجران}.

خلاصة المبحث

فالغاية من إقامة كامل شرائع الله تعالى هو النهضة بالحضارة الإنسانية عن طريق إصلاح الفرد بتعزيز الرقابة الذاتية ليخلص الإنسان في أداء كل واجباته وذاك ما تحتاجه البشرية اليوم.

الباب الثاني

المبحث الثالث: الإسلام والأخلاق

من الأسباب التي أدت وتؤدي إلى قبول الناس الإسلام أنه عمل على الرقي بالأخلاق الإنسانية وتزكية النفس البشرية، فدعا إلى محاسنها كالإحسان والصدق والصبر والعفو والحلم والأناة، والرفق والتواضع، والاعتدال في القول مع العصاة، وملاطفة ورفع قدر الناس، ولين الجانب والحياء، وغض البصر، ووضع آداب للتزين، ونهى عن سوء الخلق كالكذب وسوء الظن والغضب والتكبر والقذف والمجاهرة بالمعصية، والهجران وقول الزور، وأن يكون الإنسان ذو وجهين، والتجسس والهمز واللمز، والسخرية والغيبة والنميمة وغيرها من سوء الأخلاق، وجعل كل ذلك أمور تعبدية يجازى الإنسان على فعلها، ولا زالت الحضارة البشرية بحاجة لذلك.

أولا: الحض على حسن الخلق

أسس الإسلام مكارم الأخلاق وجعل ذلك جزءاً من الدين وضاعف الأجر فيه، فبصلاح الأفراد تصلح الدنيا وبفساده يهلك الحرث والنسل ولذلك قال تعالى في سورة الأنعام:{ **مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا** وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى إِلا مِثْلَهَا وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ}(160)، ورغب في التأسّي به صلى الله عليه وسلم وأمر بإتباعه فقال تعالى في سورة الأحزاب:{ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ **أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ** لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً}(21)، كما بين- صلى الله عليه وآله وسلم- أن المسلم لا يبلغ صريح الإيمان إلا بحسن الخلق كما ورد في مكارم الأخلاق عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:{ لن ينال عبد صريح الإيمان حتى **يصل من قطعه ويعفو عمَّن ظلمه ويغفر لمن شتمه ويحسن إلى من أساء إليه**}، وكما ورد في مستدرك الحاكم عن أبي هريرة قال: قال

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:{ إِنَّكُمْ لا تَسَعونَ النّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ، وَلِيَسَعَهُمْ مِنْكُمْ **بَسْطُ الْوَجْهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ**}، ثم رغَّب صلى الله عليه وسلم أتباعه بالرقي بحسن الخلق حتى يبلغ درجة الأبرار كما ورد في صحيح الإمام مسلم عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سِمْعَانَ الأَنْصَارِيّ قَالَ:{ سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ عَنِ الْبِرّ وَالإِثْمِ فَقَالَ: **الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلْقِ** وَالإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ}، وبيَّن أن خيار الناس أحاسنهم أخلاقاً في الحديث الذي ورد في صحيح الإمام البخاري عن عبدِ اللهِ بن عمرو رضيَ اللهُ عنهما قال: لم يَكنِ النبيُّ صلى الله عليه وسلم فاحِشاً ولا مُتفحِّشاً، وكان يقول:{ إنَّ من خياركم **أحسنَكم أخلاقاً**}، وبيَّن صلى الله عليه وسلم أنّ حسن الخلق أثقل شيء في ميزان الله تعالى يوم القيامة في الحديث الذي ورد عن الإمام الترمذي عن أَبي الدَّرْدَاءِ أَنَّ النَّبي صلى الله عليه وسلم قالَ:{ مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ في مِيزَانِ المُؤْمِنِ يَوْمَ القِيَامةِ **مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ** فَإِنَّ الله تعالى لَيُبْغِضُ الفاحِشَ البَذِيءَ}، وقد حضَّ الرسول- صلى الله عليه وسلم- هذه الأمة بمعاملة الناس بخلق حسن كما ورد في صحيح الإمام أحمد عن معاذ أنه قال:{ يا رسول الله أوصني قال: اتق الله حيثما كنت أو أينما كنت قال: زدني قال: اتبع السيئة الحسنة تمحها قال زدني قال: **خالق الناس بخلق حسن**}، كما بيَّن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن حسن الخلق يرفع منزلة المسلم في الآخرة حتى يكون في أعلى الجنة كما ورد في صحيح الإمام أبي داوود عن أَبي أُمَامَةَ قالَ: قالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم:{ أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ في رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ المِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقاً، وَبِبَيْتٍ في وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كان مَازِحاً، **وَبِبَيْتٍ في أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ**}، وأن من حسن خُلُقُهُ قرُبت منزلته من رسول الله صلى الله عليه وسلم

في الجنة كما ورد في صحيح الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو أنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال في مجلس خُف:{ ألا أحدثكم بأحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة . ثلاث مرات يقولها .؟ قال: قلنا: بلى يا رسول الله قال: فقال: **أحسنكم أخلاقاً**}، ولما للأخلاق من منزلة عظيمة عند الله تعالى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو ربه بحسن الخلق تعبداً ليعلِّم هذه الأمة التوجه إلى الله أن يرزقها حسن الأخلاق كما ورد في السنن الكبرى للإمام النسائي عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِذَا اسْتَفْتَحَ الصَّلاَةَ كَبَّرَ ثُمَّ قَالَ:{ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، **اللَّهُمَّ اهْدِنِي لأَحْسَنِ الأَعْمَالِ وَأَحْسنِ الأَخْلاَقِ** لاَ يَهْدِي لأَحْسَنِهَا إِلاَّ أَنْتَ وَقِنِي سَيِّىءَ الأَعْمَالِ وَسَيِّىءَ الأَخْلاَقِ لاَ يَقِي سَيِّئَهَا إِلاَّ أَنْتَ }.

الإحسان

الإحسان يكون في كل شيء ولذلك حث عليه الإسلام فقال سبحانه في سورة النحل:{ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ **وَالإِحْسَانِ** وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}(90)، وقال كما قال تعالى في سورة فصّلت:{ وَلاَ تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ **ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ(34) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّاهَآ إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ}(35)، ومن حسن الخلق دفع السيئة بالحسنة كما قال تعالى في سورة المؤمنون:{ ادْفَعْ بِالَّتِي **هِيَ أَحْسَنُ** السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ}(96)، والإحسان حصنٌ من نزغ الشيطان كما قال تعالى في سورة

الإسراء:{ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي **هِيَ أَحْسَنُ** إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا}(53)، كما وحض الإسلام على المسلم اختيار الأحسن من أوامر الله تعالى فقال في سورة الزمر:{ وَاتَّبِعُوا **أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ** مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ العَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ}(55)، وذلك نهج أصحاب العقول النيّرة كما قال تعالى في سورة الزمر:{ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ **فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ** أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمْ اللَّهُ **وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ**}(18)، وحضَّ على الإحسان في الحوار مع غير المسلمين كما قال تعالى في سورة العنكبوت:{ وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ **أَحْسَنُ** إِلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ}(46).

الصدق

أمر الإسلام بالصدق فقال تعالى في سورة العنكبوت:{ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ **صَدَقُوا** وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ}(3)، وحضَّ رسول هذه الأم– صلى الله عليه وآله وسلم– عليه كما ورد في موطأ الإمام مالك عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:{ **عليكم بالصدق** فإن الصدق يهدى إلى البر وإن البر يهدى إلى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا وإياكم والكذب فإن الكذب يهدى إلى الفجور وإن الفجور يهدى إلى النار وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا}، وكما قال تعالى في سورة التوبة:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ **وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ**}(119)، وكما قال تعالى في سورة

المائدة:{ قَالَ اللّهُ **هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ** لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ **خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدا**ً **رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ** ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}(119).

الصبر

دعا الإسلام إلى التخلُّق بالصبر للوصول إلى الغايات فقال تعالى في سورة البقرة:{ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ **وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ**}(155)، وبيّن أنّ الصبر هو أحد معايير دخول الجنة فقال تعالى في سورة آل عمران:{ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ **وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ**}(142)، كما وأمر الله تعالى رسوله– صلى الله عليه وآله وسلم بالصبر على أذى الكافرين فقال تعالى في سورة الأحقاف:{ **فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ** وَلا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ}(35)، وحضَّ تعالى المسلمين بذلك فقال في سورة آل عمران:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ **اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ** وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}(200)، وبيَّن صلى الله عليه وسلم أن صفة الصبر يمكن اكتسابها كما ورد في موطأ الإمام مالك عن أبي سعيد الخدري:{ أن ناسا من الأنصار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاهم ثم سألوه فأعطاهم حتى إذا نفد ما عنده قال ما يكن عندي من خير فلن أدخره عنكم ومن يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله ومن **يصبر يصبّره** الله **وما أعطي أحد من عطاء خير وأوسع من الصبر** }.

العفو

دعا الإسلام إلى العفو عن المسيئين فقال تعالى في سورة الأعراف:{ **خُذِ العفوَ** وأمُرْ بالعُرْفِ وأعْرِضْ عن الجَاهِلِينَ}(199)، وأرشد تعالى إلى العفو عن المسيء فقال تعالى في سورة آل عمران:{ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنْ اللَّهِ **لِنْتَ لَهُمْ** وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ **فَاعْفُ عَنْهُمْ** وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ }(159)، فرغم الهزيمة التي مني بها المسلمون في غزوة أُحُد، كما وأُمر – صلى الله عليه وآله وسلم– بالعفو في الحديث الذي ورد في صحيح الإمام البخاري عن عبدِ اللَّهِ بن الزُّبير قال:{ أمر اللَّهُ نبيَّه صلى الله عليه وسلم أن يأخذَ **العفوَ من أخلاق الناس}**، وقد كان العفو نهجه صلى الله عليه وآله وسلم كما ورد في صحيح الإمام مسلم عن أنسِ بن مالك قال:{ كنتُ أمشي مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وعليه بُرْدٌ نَجْرانيّ غليظ الحاشية، فأدركه أعرابيٌّ فجبَذَ بردائهِ جَبذَةً شديدة، قال أنس فنظرتُ إلى صفحة عاتقِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم وقد أثرَت فيها حاشيةُ الرداء من شدَّة جَبْذته، ثم قال: يا محمد مُرْ لي من مالِ الله الذي عندَك فالتفتَ إليه **فضحك، ثم أمرَ له بعطاء}**، ولقد وجه صلى الله عليه وآله وسلم بِدَرْءِ الحدود عن المسلمين كما جاء في السنن الكبرى للإمام النسائي عن عائشة أم المؤمنين قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:{ ادرؤا الحدود عن المسلمين ما استطعتم، فإن وجدتم للمسلمين مخرجاً فخلوا سبيله، فإن الإمام إن يخطىء في العفو خير له من أن يخطىء في العقوبة}.

الحِلْمُ والأَنَاة

دعا الإسلام إلى التحلي بالحلم والأناة فقال تعالى في سورة فاطر:{ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ أَن تَزُولا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ **إِنَّـهُ كَـانَ حَلِيمـاً غَفُوراً**}(41)، وبيَّن تعالى أن إبراهيم عليه السلام كان حليماً فقال في سورة التوبة:{ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ **إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ**}(114)، كما بيَّن رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- أن الله يحب هاتين الخصلتين كما ورد في السنن الإمام البيهقي عن ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ النبيَّ قالَ للأَشَجِّ أَشجِّ عبدِ القيسِ:{ إِنَّ فيكَ لَخَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا الله، **الحِلْمُ والأَنَاةُ**}.

الرفق

حثَّ الإسلام على الرفق ووجَّه الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم الأمة إليه كما ورد في السنن الإمام البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:{ إِنَّ اللَّهَ **رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، ويُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ** مَا لا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ}، وكما جاء في صحيح الإمام مسلم عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ- صلى الله عليه وآله وسلم- عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:{ إِنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلاَّ زَانَهُ، وَلاَ يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ شَانَهُ}، وكما ورد في صحيح الإمام مسلم عن جابر بن عبد اللهِ- رضَي اللَّهُ عنهُ- قَالَ: قال النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم:{ مَنْ يُحْرَمِ الرفْقَ **يُحْرَمِ الْخَيْرَ كُلَّهُ**}.

التواضع

أمر الإسلام بالتواضع فأرشد صلى الله عليه وسلم إليه في الحديث الذي ورد في صحيح الإمام أبي داود عن عياض بن حمّار أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:{ إن الله أوحى إلي **أن تواضعوا** حتى لا يبغي أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحد}، وكما جاء في سنن الإمام الدارمي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:{ ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا **وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله**}، ولقد أرشد جبريل عليه السلام رسول هذه الأمة لذلك كما ورد في صحيح الإمام أحكد عن أبي هريرة رضي اله عنه قال:{ جلس جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فنظر إلى السماء، فإذا ملك ينزل، فقال له جبريل: هذا الملك ما نزل منذ خلق قبل الساعة، فلما نزل، قال: يا محمد أرسلني إليك ربك: أملكاً أجعلك لهم أم عبداً رسولاً؟ فقال له جبريل: تواضع لربك يا محمد، فقال صلى الله عليه وسلم: لا، بل عبداً رسولاً}.

الاعتدال في القول مع العصاة

دعا الإسلام إلى الاعتدال في القول في كل الأمور ومع العصاة من الناس كما ورد في مسند أبي يعلى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أُتي رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- بشارب(خمر) فقال:{ اضربوه، فمنا الضارب بيده، ومنا الضارب بنعله، فقال بعض القوم أخزاك الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تقولوا هكذا، لا تعينوا الشيطان عليه}، حتى لا يكون المسلم عونا للشيطان على إخوانه.

الملاطفة ورفع قدر الناس

حث الإسلام على ملاطفة الناس ورفع قدرهم فقد ورد في صحيح الإمام ابن حبان عن أنس بن مالك أن رجلاً من أهل البادية يقال له زاهر بن حرام كان يهدي إلى النبي صلى الله عليه وسلم الهدية فيجهّزه رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يخرج(للحرب) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:{ إن زاهراً بادينا ونحن حاضروه، قال: فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبيع متاعه، فاحتضنه من خلفه والرجل لا يبصره، فقال: أرسلني، من هذا؟ فالتفت إليه، فلما عرف أنه النبي صلى الله عليه وسلم جعل يلزق ظهره بصدره، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من يشتري هذا العبد؟ فقال زاهر: تجدني يا رسول الله كاسداً، قال: لكنك عند الله لست بكاسد، أو قال صلى الله عليه وسلم: بل أنت عند الله غال}.

لين الجانب

أمر الإسلام المسلم أن يكون ليّن الجانب، وقد أمر الله تعالى رسوله بخفض جناحه للمؤمنين فقال تعالى في سورة الشعراء:{ **وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ** لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ}(215)، وتلك صفة المؤمنين التي ينبغي أن يكونوا عليها كما قال تعالى في سورة الفتح:{ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ **رُحَمَاء بَيْنَهُمْ** تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً}(29)، فصفة الّين

لا تنفك عن خُلقِ الأمة، بل يدعو آخرها لأولها كما قال تعالى في سورة الحشر:{ وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ}(10).

الحَياء

أقر الإسلام الحياء كونه شعبة من الإيمان كما جاء في موطأ الإمام مالك عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه في الحياء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعه **فإن الحياء من الإيمان}**، وتلك سمة رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم كما ورد في صحيح الإمام البخاري عن أبي سعيدٍ الخدري- رضي الله عنه- قال:{ كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم **أشدَّ حياءً** من العَذراء في خِدرها}، وبيَّن أن الحياء لا يأتي إلا بخير كما ورد في صحيح الإمام البخاري عن **عمران بن حصين** قال:{ سمعتُ عِمرانَ بن حُصينٍ قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: **الحياءُ لا يأتي إلاّ بخير}**.

غضُّ البصر وأدب التزيُّن

حث الإسلام على غضُّ البصر والتأدب في الزينة، وقيد الأمور الموصلة إليه فقال تعالى في سورة النور:{ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ **يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ** وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ(30) وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ **يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ** وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ **وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ** إِلا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ **وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ** إِلا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ

آبَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاء **وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ** لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}(31).

ثانيا: النهي عن وسوء الخلق

لم يتوقف الإسلام عند الأمر بحسن الخلق بل إنه نهى عن سيئها كالكذب وظن السوء والغضب والتكبُّر على الناس والهجران والقطيعة عند الخصومة وقول الزور أو أن يكون الإنسان ذا وجهين فلا يعرف صدقه من كذبه، وكذلك التجسس والهمز واللمز والسخرية من الآخرين والغيبة والنميمة وغيرها من منكرات الأخلاق.

الكذِب

نهى الإسلام عن الكذب فقال تعالى في سورة الجاثية:{ وَيْلٌ لِّكُلِّ **أَفَّاكٍ أَثِيمٍ**}(7)، وبيّن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأن المؤمن لا يمكن أن يكون كذّابا، كما جاء في موطأ الإمام مالك عن صفوان بن سليم انه قال:{ قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أيكون المؤمن جباناً فقال نعم، فقيل له أيكون المؤمن بخيلاً فقال نعم، فقيل له أيكون المؤمن كذابا **فقال لا**}، وبيَّن أن الكذب يؤدي إلى الفجور في الحديث الذي ورد في صحيح الإمام البخاري عن عبد الله بن مسعود– رضيَ الله عنه– عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال:{ إنَّ

الصدقَ يَهدِي إلى البِرّ، وإن البرَّ يَهدي إلى الجنَّة، وإن الرجلَ لَيَصدُق حتى يكونَ صدّيقاً. **وإن الكذبَ يَهدِي إلى الفجور**، وإن الفجورَ يَهدِي إلى النار، وإن الرجلَ لَيَكذِب **حتى يُكتبَ عند اللهِ كذّاباً**}، كما بيَّن أن الكذب يمحق البركة لما ورد في صحيح الإمام البخاري عن حكيمِ بنِ حِزامٍ رضيَ الله عنهُ عنِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال:{ البيِّعانِ بالخِيارِ ما لم يَتفرَّقا . أو قال حتَّى يتفرقا . فإن صَدَقا وبَيَّنا بُورِكَ لهما في بَيعِهما، **وإن كَتَما وكَذَبا مُحِقَتْ بَرَكةُ بَيعِهما**}.

ظن السوء

نهى الإسلام عن سوء الظن فقال تعالى في سورة الحجرات:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا **اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ** إِنَّ **بَعْضَ الظَّنِّ** إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ}(12)، وسمي ذلك فسقا كما قال تعالى في سورة الحجرات:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا **إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا** أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ}(6)، وإنه أكذب الحديث كما جاء في صحيح الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:{ إيّاكم والظن **فإن الظن أكذب الحديث** ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله إخوانا}.

الغضب

ذم الإسلام الغضب فقال تعالى في سورة آل عمران:{ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء **وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ** وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ

الْمُحْسِنِينَ}(134)، وكما قال تعالى في سورة الشورى:{ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ **وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ**}(37)، وقد أوصى صلى الله عليه وسلم بذلك كما ورد في صحيح الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم أوصني قال:{ لا تغضب فردّد مرارا قال لا تغضب}، وبيَّن أنه من العزم أن يدرِّب الإنسان نفسه على كظمه كما ورد في صحيح الإمام البخاري عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه أنَّ رسولَ الله- صلى الله عليه وسلم- قال:{ ليس الشديدُ بالصّرَعة، إنما الشديدُ الذي يملكُ نفسَه عندَ الغضب}.

التكبُّر على الناس

نهى الإسلام عن التكبُّر وبيَّن تعالى أنه من صفات إبليس كما قال تعالى في سورة ص:{ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ **أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ**(75) قَالَ **أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ** خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ }(76)، وبيَّن تعالى أن المتكبر ليس له حظ في الآخرة كما قال في سورة القصص:{ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ **لاَ يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ** وَلاَ فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ}، وأكد تعالى على صرف المتكبرين عن هديه فقال في سورة الأعراف:{ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ **الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ** بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ}(146)، وبيّن رسول الله صلى الله عليه وسلم عدم دخول المتكبرين الجنة كما ورد في صحيح الإمام مسلم عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود- رضي الله عنه- عَنِ النَّبِيِّ-

صلى الله عليه وسلم- قَالَ:{ لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ **كِبْرٍ**}، والخيلاء من الكبر المنهي عنه كما ورد في مسند الإمام أبي يعلى عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:{ لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جرَّ إزاره **خيلاء**}.

قذف المحصنات

بغّض الإسلام القذف وتلفيق التهم للناس وخصَّ النساء الغافلات وشدّد العقوبة فيه فقال تعالى في سورة النور:{ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ(4) إِلا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}(5)، وألزم المدّعي بالشهود فقال تعالى في سورة النور:{ إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ(11) لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْراً وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ(12) **لَوْلا جَاؤُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاء فَأُوْلَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ**(13) وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ(14) إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ(15) وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ(16) يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَداً إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}(17)، وغلّظ العقوبة فيها لصيانة الأعراض فقال في سورة النور:{ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ

عَذَابٌ عَظِيمٌ(23) يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ }(24).

المجاهرة بالمعصية

حرّم الإسلام المجاهرة بالمعصية لما يترتب عليه من نشر الفاحشة والتجرؤ على حدود الله تعالى فقال في سورة النساء:{ لاَّ يُحِبُّ اللّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللّهُ سَمِيعاً عَلِيماً }(148)، ونهى رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- عن ذلك كما جاء في صحيح الإمام البخاري عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال سمعتُ رسولَ الله- صلى الله عليه وسلم- يقول:{ كلُّ أمَّتي مُعَافىً إلا المجاهِرين، وإنَّ من المجاهرة أَن يعملَ الرجلُ بالليل عملاً ثم يُصبح وقد سَتَرهُ الله فيقول: يا فلان عملتُ البارحةَ كذا وكذا وقد باتَ يَسترُه ربُّه ويُصبحُ يكشِفُ ستَر الله عنه}.

الهجران

نهى الإسلام عن الهجران وأرشد أن لا يتجاوز ثلاثة أيام كما ورد في صحيح الإمام البخاري عن أبي هريرة- رضي الله عنه- أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال:{ كلُّ أمَّتي مُعَافىً إلا المجاهِرينٍ ، يَلتقيانِ فيُعرِض هذا ويُعرض هذا، وخيرُهما الذي يَبدأُ بالسلام}.

قول الزّور

جرم الإسلام قول الزّور فقال تعالى في سورة الحج:{ ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الأَنْعَامُ إِلا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ **وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ**}(30)، وقال تعالى في سورة الفرقان:{ وَالَّذِينَ **لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ** وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً}(72)، وعظّمه رسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاء في صحيح الإمام البخاري عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه– رضي الله عنهم– قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:{ ألا أنبئكم بأكبر الكبائر قلنا بلى يا رسول الله قال الإشراك بالله وعقوق الوالدين وكان متكئا فجلس فقال ألا **وقول الزور وشهادة الزور** ألا **وقول الزور وشهادة الزور** فما زال يقولها حتى قلت لا يسكت}، وبيّن أنه يبطل العمل كما ورد في صحيح الإمام البخاري عن أبي هريرة– رضي الله عنه– عن النبيّ– صلى الله عليه وسلم– قال:{ من لم يَدَع **قولَ الزُّور** والعملَ به والجهلَ فليس لله حاجةٌ أن يَدَع طعامَهُ وشرابه}.

ذو الوَجهين

مقت الإسلام المسلم أن يلقى غيره بخلاف ما يبطن فقال تعالى في سورة النساء:{ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللّهَ إِلاَّ قَلِيلاً(142) مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ **لاَ إِلَى هَؤُلاء وَلاَ إِلَى هَـؤُلاء** وَمَن يُضْلِلِ اللّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً}(143)، وبيّن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم شرار الناس كما ورد في مسند الإمام أحمد عن

أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم:{ تجِدُ من شرار الناس يومَ القيامة عندَ الله **ذا الوجهَين**، الذي يأتي هٰؤلاء بوجهٍ وهٰؤلاء بوَجه}.

التجسس

نهى الإسلام عن التجسس فقال تعالى في سورة الحجرات:{ يٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيراً مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ **وَلاَ تَجَسَّسُواْ** وَلاَ يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ}(12)، ونهى الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- عن ذلك كما جاء في صحيح الإمام البخاري عن أبي هريرةَ- رضي الله عنه- عن النبيِّ- صلى الله عليه وسلم- قال:{ إياكم والظنَّ، فإنَّ الظنَّ أكذبُ الحديث. ولا تحَسَّسوا **ولا تجسَّسوا**، ولا تحاسَدوا ولا تَباغَضوا، ولا تدابَروا، وكونوا عبادَ الله إخواناً}.

الهمز واللمز

حذر الإسلام عن الهمز واللمز فقال تعالى في سورة التوبة:{ الَّذِينَ **يَلْمِزُونَ** الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}(79)، وذم ذلك الخلق فقال في سورة القلم:{ **هَمَّازٍ** مَّشَّآءِ **بِنَمِيمٍ**}(11)، وتوعّد بعذابه فقال تعالى في سورة الهمزة:{ وَيْلٌ لِكُلِّ **هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ**}(1).

السخرية

حرم الإسلام السخرية فقال تعالى في سورة الحجرات:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}(11).

الغِيبة

نهى الله تعالى عن الغيبة فقال تعالى في سورة الحجرات:{ **وَلاَ يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً** أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ}(12)، ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه كما ورد في صحيح الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:{ أتدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله أعلم قال: **ذكرك أخاك بما يكره** قيل فرأيت إن كان في أخي ما أقول قال **إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته** وإن لم يكن فيه فقد بهته}، فما أقبحه من ذنب.

النميمة

ذم القرآن النميمة فقال تعالى في سورة القلم:{ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ}(11)، كما بين رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- في الحديث الوارد في مسند الإمام أحمد عن أسماء بنت يزيد- رضي الله عنها- أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:{ ألا أخبركم بخياركم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الذين إذا رؤُا ذكر الله تعالى، ثم قال: ألا أخبركم بشراركم؟ المشاؤن بالنميمة المفسدون بين

الأحبة الباغون للبرآء العنت}،(والعَنَت: الإثم والجَوْرُ والإثم، "وعنت الوجوه للحي القيوم" أي ذلت وانكسرت له تعالى).

خلاصة المبحث

فإقامة كامل شرائع الله تعالى تعني الرقي بالحضارة الإنسانية عن طريق السمو بأخلاق البشر والذي من أجله قبِل الناس الإسلام، وهذا هو ما تحتاجه الحضارة البشرية اليوم لمعالجة المشاكل التي تعاني منها.

الباب الثاني

المبحث الرابع: الإسلام والعلاقات الأسرية

شرع الإسلام تعزيز العلاقات الأسرية كَبر الوالدين والإحسان إلى الزوجة والأبناء، وأعطى حقوق للجنين، وأمر بالبر بالأقرباء والأرحام، ووطد العلاقة الأسرية بالميراث، وأباح تعدد الزوجات والطلاق وشرع النفقة على أبناء المطلقة لإقامة المجتمع الأمثل فقبل الناس تلك القيم ودخلوا في دين الله تعالى أفواجا.

بر الوالدان

سما الإسلام بعلاقات الأسرية وجعل أشرفها وأعلاها العلاقة بالوالدين، ودعمها بالإنفاق المالي وحضّ على الإحسان إليهما طيلة حياتهما وخاصة عند الكبر، ونهى عن الإساءة إليهما حتى بأقل صورة كالتأفف فقال تعالى في سوة الإسراء:{ وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ **وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً** إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا **فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيما**}(23)، وبيَّن الله تعالى أن تلك العلاقة فُرضت على الأمم السابقة فقال تعالى في سورة البقر:{ **وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ** لا تَعْبُدُونَ إِلا اللَّهَ **وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا** وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلا قَلِيلا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ}(83)، وقدَّس تلك العلاقة حتى وإن خالفا المسلم في عقيدته فقال تعالى في سورة العنكبوت:{ **وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا** إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}(8)، كما وأعلى الرسول– صلى الله عليه وآله وسلم مكانة الأم في المجتمع لما ورد في صحيح الإمام البخاري عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنه قال:{ جاء رجلٌ إلى رسولِ الله صلى

الله عليه وسلم فقال: يا رسولَ الله مَن أحقُّ الناس بحُسْن صَحابتي؟ قال: أُمُّك. قال: ثمَّ مَن؟ قال: أمُّك. قال: ثمَّ مَن؟ قال: أمُّك. قال: ثم من؟ قال: ثمَّ أبوك}، وكما ورد في صحيح الإمام البخاري عن المغيرةِ بن شُعبةَ عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال:{ **إنَّ الله حرَّمَ عليكم عُقوقَ الأمهات**، ومَنْعاً وهات، ووأْدَ البنات وكرِهَ لكم قيلَ وقال، وكثرةَ السؤال، وإضاعةَ المال}، وقدم العلاقة بالوالدين حتى على الجهاد في سبيل الله كما جاء في صحيح الإمام البخاري عن عبْد الله بنِ عمْرو قال: قال رجلٌ لِلنَّبيِّ صلى الله عليه وسلم: أجاهِدُ؟ قال:{ لكَ أَبَوانِ} قال: نعم، قال:{ ففيهما فجاهد}، ولما ورد في سنن الإمام أبي داود عن عَبْدِ الله بنِ عَمْرٍو قال جَاءَ رَجُلٌ إلَى رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم فقال: جِئْتُ أُبَايِعُكَ عَلَى الهِجْرَةِ وَتَرَكْتُ أبَوَيَّ يَبْكِيَانِ، قال:{ ارْجِعْ فأَضْحِكْهُمَا كَمَا أبْكَيْتَهُمَا}، وحضَّ على صلة الأبوين وإن كانا على غير ملة الإسلام كما ورد في صحيح الإمام البخاري عن أسماءَ رضي الله عنها قالت: قدِمَتْ أمي وهي مشركةٌ . في عهد قريش ومدَّتهم إذ عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم . معَ أبيها، فاستفتَيتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم فقلت: إن أمِّي قَدِمَت وهي راغبةٌ، قال:{ نعم، صِلي أُمَّك}، ونهى عن التسبب في سبهما كما جاء في صحيح الإمام البخاري عن عبد الله بن عمرو رضيَ الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:{ **إن من أكبرِ الكبائر أن يَلعنَ الرجلُ والِدَيه.** قيل يا رسول الله، وكيف يَلعَنُ الرجل والِدَيه؟ قال: يسُبُ الرجلُ أبا الرجل فيسبُّ أباه، ويسب أمَّه فيسب أمَّه}، وأمر ببرَّ الوالدين حتى بعد موتهما كما ورد في سنن أبي داود عن أبي سيد قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ جاء رجل فقال: يا رسول الله هل بقي من بر

أبويّ شيء أبرّهما به بعد موتهما؟ قال:{ نَعَمْ، الصَّلاةُ عَلَيهِمَا، وَالاسْتِغْفَارُ لَهُمَا، وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا مِنْ بَعْدِهِمَا، وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لاَ تُوصَلُ إِلا بِهِمَا، وإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا}.

الإحسان إلى الزوجة

كرَّم الله تعالى العلاقة الزوجية وأسَّسها على المودة والرحمة فقال تعالى في سورة الروم:{ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ **أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً** إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}(21)، وأمر بالدعاء لأجل إصلاح تلك العلاقة فقال تعالى في سورة الفرقان:{ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا **هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ** وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً}(74)، كما وحضَّ الإسلام على بذل الخير للزوجة كما جاء في مسند الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:{ أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، **وخيارهم خيارهم لنسائهم}**، وحث على النفقة على الأهل كما ورد في صحيح الإمام البخاري عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:{ **إذا أنفق المسلم نفقة على أهله وهو يحتسبها كانت له صدقة}**، وبيّن أن واجب المسلم البدء بالنفقة على زوجته وأبنائه كما جاء في صحيح الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالَّ:{ خير الصدقة ما كان على ظهر غنى **وابدأ بمن تعول}**، وبيّن كيفية الإحسان إلى الزوجة كما جاء في مسند الإمام أحمد عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده رضي الله عنهم عن رجل من بني قشير عن أبيه أنه سأل النبي صلى الله

عليه وآله وسلم، ما حق امرأتي عليَّ؟ قال:{ **تطعمها إذا طعمت، و تكسوها إذا اكتسيت، و لا تضرب الوجه، ولا تهجر إلا في البيت}**، كما وحض على الوفاء للزوجة كما ورد في صحيح الإمام البخاري عن عائشةَ رضي الله عنها قالت:{ ما غِرتُ على امرأةٍ ما غرتُ على خَديجةَ . ولقد هَلكتْ قبلَ أن يتزوَّجني بثلاث سنين . **لما كنتُ أسمعُهُ يَذكرُها.** ولقد أمرَهُ ربُّه أن يُبشِّرها ببيتٍ في الجنَّة من قَصَب **وإنْ كان ليَذبحُ الشاةَ ثمَّ يُهدِي في خُلَّتِها منها}.**

الإحسان إلى الأبناء

بيّن هذا الدين العظيم مكانة الأبناء فقال تعالى في سورة الكهف:{ الْمَالُ **وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً}(46)، وأمر بحسن معاملتهم كتقبيلهم ومعانقتهم لما جاء في صحيح الإمام البخار عن أبا هريرة رضي الله عنه قال: **قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن بن علي** وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسا، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحداً، فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال:{ من لا يَرحم لا يُرحم}، حتى في الصلاة كما جاء في سنن الإمام النسائي عن عبد الله بن شداد عن أبيه رضي الله عنهما قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في إحدى صلاتي العشي الظهر أو العصر وهو حامل حسناً أو حسيناً فتقدَّم النبي- صلى الله عليه وسلم- فوضعه ثم كبَّر للصلاة فصلىّ فسجد بين ظهري صلاته سجدة أطالها قال: إني رفعت رأسي فإذا الصبي على ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ساجد فرجعت في سجودي فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة قال

الناس: يا رسول الله إنك سجدت بين ظهري الصلاة سجدة أطلتها حتى ظننّا أنه قد حدث أمر أو أنه يوحى إليك قال:{ كل ذلك لم يكن ولكن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته}، وكان- صلى الله عليه وآله وسلم- يحمل البنات في صلاته كما ورد في صحيح الإمام البخاري عن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي وهو حامل أمامة بنت زينب بنت رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ولأبي العاص بن ربيعة بن عبد شمس فإذا سجد وضعها وإذا قام حملها}.

حقوق الجنين

سن الإسلام حقوقا للجنين كحسن اختيار الأم كما ورد في صحيح الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:{ تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها **فاظفر بذات الدين تربت يداك**}، وأن يحسن تسميته كما ورد في سنن الإمام أبي داود عن عبد الله بن أبي زكريا: عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:{ إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم، **فحسِّنوا أسمائكم**}، وأن لا يقسّم الميراث حتى تتم الولادة، ويصان ماله ويستثمر حتى يكبر كما أشير تحت حقوق اليتيم.

الإحسان إلى الأقرباء

أمر هذا الدين بالإحسان إلى الأقارب لتعميق العلاقات الأسرية فقال تعالى في سورة النور:{ لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى

الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلا عَلَى أَنفُسِكُمْ **أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ** لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعاً أَوْ أَشْتَاتاً فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُون}(61)، فشرع الإسلام للفرد أن يَطْعَمَ في بيوت أقربائه وأصدقائه دون حرج.

الإحسان إلى الأرحام

الأرحام هم الأباعد من الأقارب والذين أمر الله سبحانه بالإحسان إليهم وجعل صلتهم أساسا في الإسلام فقال تعالى في سورة الأنفال:{ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مِن بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَـئِكَ مِنكُمْ **وَأُوْلُواْ الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ** فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}(75)، وقال تعالى في سورة الأحزاب:{ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ **وَأُوْلُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى** بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلاَّ أَن تَفْعَلُواْ إِلَى أَوْلِيَآئِكُمْ مَّعْرُوفاً كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُوراً}(6)، كما بيَّن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن للرحم حقاً عظيماً عند الله تعالى وأن لها أثر طيب على حياة الفرد كما ورد في صحيح الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول:{ من سَرَّهُ أن يُبْسَطَ له في رزقه، وأن يُنسأ له في أثره **فلْيَصلْ رحِمَه**}، وبيَّن أن صلة الأرحام لا تعني المكافئة كما جاء في صحيح الإمام البخاري عن عبد الله بن عمرو رضي الله

عنهما عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال:{ ليس الواصلُ بالمكافئ، ولكنِ **الواصلُ الذي إذا قُطعَت رحمهُ وَصلَها**}، كما وبيّن أن الله تعالى مُسائلٌ الفرد عن صلته بأرحامه فقال تعالى في سورة النساء:{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء **وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ** إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً}(1)، ونهى تعالى عن القطيعة فقال تعالى في سورة الرعد:{ وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ **وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ** وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ}(25)، وبيّن أنّ للرحم مكانة لها كما جاء في صحيح الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:{ إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائذ من القطيعة قال: نعم، **أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك** قالت: بلى، قال: فذاك لك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اقرؤا إن شئتم{ فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم}، وبيّن أن قاطع الرحم لا يدخل الجنة كما ورد في صحيح الإمام البخاري عن جُبير بن مطعم أخبرَ أنه سمعَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم يقول:{ لا يدخُلُ الجنة قاطع}.

الميراث والعلاقة الأسرية

وثَّق الإسلام العلاقة الأسرية والقرابة بالميراث فقال تعالى في سورة النساء:{ يُوصِيكُمُ اللّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ **لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ** فَإِن كُنَّ نِسَاء فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن

كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلأُمِّهِ السُّدُسُ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَآؤُكُمْ وَأَبناؤُكُمْ لاَ تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً فَرِيضَةً مِّنَ اللهِ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيما حَكِيماً(11) وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلاَلَةً أَو امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوَاْ أَكْثَرَ مِن ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاء فِي الثُّلُثِ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ}(12)، كما بيّن رسول الله- صلى عليه وآله وسلم- عدم جواز التصرف في أكثر من ثلث التركة لما ورد في صحيح الغمام البخاري عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه رضي الله عنهم قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني عام حجة الوداع من وجع اشتد بِي، فقلت: إني قد بلغ بي من الوجع وأنا ذو مال ولا يرثني إلا ابنة **أفأتصدق بثلثي مالي** قال لا فقلت بالشطر فقال لا ثم قال **الثلث والثلث كبير** أو كثير إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس، وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت بها حتى ما تجعل في فيّ امرأتك، فقلت: يا رسول الله أخلف بعد أصحابي قال إنك لن تخلف فتعمل عملا صالحا إلا ازددت به درجة ورفعة، ثم لعلك أن تخلف حتى ينتفع بك أقوام ويضر بك آخرون، اللهم أمض لأصحابي هجرتهم ولا تردهم على أعقابهم لكن البائس سعد بن خولة يرثى له رسول الله صلى الله عليه وسلم أن مات بمكة}. فهل وجد دين أو قانون وضعي عمق العلاقات الأسرية ماديا ومعنويا وأعطى حقوقا للأرحام والأقارب مثل ما جاء في دين هذه الأمة؟

المرأة والميراث

منح الإسلام المرأة استقلالية مالية تامة منذ القرن السابع الميلادي فهي ترث في جميع مراحل حياتها، فترث وهي ابنة وترث وهي زوجة وأم وأخت بعد أن كانت جزأ من الميراث، وحيث أنه لا يمكن تفصيل كل ذلك تحت هذا العنوان فسنقتصر على ما يمكن أن ترثه المرأة في الحد الأقصى والأدنى، فإن كانت المرأة وحيدة أبيها فترث نصف الميراث كحد أقصى وإن كانت جنينا، وترث نصف ما يرثه أخوها إذا كان لها أخ شقيق، كما وترث من أمها مثل ذلك. أما إذا كانت زوجة فإنها ترث من زوجها ربع الميراث إذا لم يكن لزوجها ولد، فإن كان له ولد فلها ثمن التركة. أَما إذا كانت أُماً فترث الثلث عند عدم وجود أبناء للمتوفى ذكوراً أو إناثاً كحد أقصى، وترث السدس عند وجود الأبناء للمتوفى، أما إذا كانت أختاً فترث نصف التركة كحد أقصى عند عدم وجود الذرية لأخيها، ولا ترث شيئ عند وجود الأصل أو الفرع، وبين كل ذلك تفاصيل كثيرة يمكن الرجوع لها عند أهل الاختصاص في علم المواريث.

تعدد الزوجات

حرم الإسلام كل العلاقات الجنسية إلا الزواج بالمرأة وأباح تعدد الزوجات وشرطه بإقامة العدل بينهم، فحرم كل العلاقات الأخرى وجعلها غير شرعية كالزنا لما لتلك العلاقات مضار تفتك بالفرد والمجتمع، فقال تعالى في سورة النساء:{ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِي الْيَتَامَى فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء **مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً** أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُواْ}(3).

إباحة الطلاق

شرع الإسلام لكل من الزوج والزوجة حقوق وواجبات، فإذا تعثرت تلك الحياة أباح الإسلام الطلاق وإن كان أبغضه عند الله تعالى تخفيفا وصيانة لحقوق الطرفين فقال تعالى في سورة البقرة:{ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَآؤُوا فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ(226) **وَإِنْ عَزَمُواْ الطَّلاَقَ فَإِنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**}(227)، والإيلاء الحلف بعدم المعاشرة من أي طرف أو النشوز كما قال تعالى في سورة البقرة:{ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزاً أَوْ إِعْرَاضاً فَلاَ جُنَاْحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحاً وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً}(128).... **وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللّهُ كُلاًّ مِّن سَعَتِهِ** وَكَانَ اللّهُ وَاسِعاً حَكِيماً}(130)، أو حصول الفاحشة كما قال تعالى في سورة النساء:{ .... **إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ** .....}(19)، كما ومنح المرأة حق طلب الطلاق عند حصول الضرر المادي أو المعنوي أو كليهما.

وجوب النفقة على المطلقة فترة الحمل وأثناء الرضاعة

أوجب الإسلام على الرجل المطلق النفقة على مطلقته الحامل وأولاده منها، وشرّع الأجرة إلى الأم عند رضاعتها ما تنجب فقال تعالى في سورة الطلاق:{ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُولاتِ حَمْلٍ **فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ** حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ **فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ** وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى(6) **لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ** وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ

نَفْساً إِلا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً}(7)، وقد أوصى سبحانه وتعالى بحسن معاملة النساء حتى بعد الطلاق فقال تعالى في سورة النساء:{ وَإِنْ أَرَدتُّمُ **اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ** وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَاراً **فَلاَ تَأْخُذُواْ مِنْـهُ شَيْئاً** أَتَأْخُذُونَـهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً}(20)، والقنطار المال الكثير مهرا.

خلاصة المبحث

فإقامة كامل شرائع الله تعالى على هذه الأرض تعني الرقي الحضاري بالعلاقات الأسرية من بر الوالدين والإحسان إلى الزوجة والأبناء والأقرباء والأرحام وتوطد العلاقة الأسرية بالميراث، وإباحة تعدد الزوجات والطلاق والنفقة على أبناء المطلقة، ولذلك قبل الناس الإسلام وتمسكوا به عن طيب نفس، وإنّ البشرية اليوم بحاجة إلى كل ذلك اليوم.

الباب الثاني

المبحث الخامس: الإسلام والمجتمع

ومن الأسباب التي أدت وتؤدي إلى قبول الناس لهذا الدين والتمسك به أنه عزز العلاقات الاجتماعية بكثير من التشريعات، فوطد العلاقة بين الغني والفقير بالزكاة والصدقة والكفارات والأضحية والميراث، والصلوات والجُمع والأعياد والحج، والصيام وحث على الاعتماد على النفس، ثم وطد العلاقات العامة بالأخوة الإيمانية والتنافس في منفعة الآخرين والإصلاح بين الناس، وتوقير الكبير ورحمة الصغير، والتحية وعيادة المريض واتباع الجنائز، ووضع قواعد الاستئذان والزينة وحث على النظافة الشخصية، كما وقوى العلاقة بالأفراد فجاء الإسلام معترفا بجميع الرسالات، وسن حسن معامله الخادم والجار والأرملة واليتيم والأطفال واللقطاء والمساكين وابن السبيل والكفار والمشركين والمعاهدين لإقامة المجتمع الأمثل في الأرض، وهذا ما ينبغي لكل مسلم أن يتحدث عنه متى ما كان مناسبا.

توطيد علاقة الغني بالفقير

من الأمور التي دعت الناس لقبول الإسلام العظيم أنه وطد العلاقة بين الغني والفقير فأمن الغني على ثرواته وأمن الفقير على حياته وانتشر الأمن وتعززت العلاقة الاجتماعية، فللشريعة الإسلامية السبق في تأصيل هذه العلاقة بالزكاة والصدقة والكفارات والميراث والأضحية والصلاة اليومية والجمعة والأعياد، وبذلك وضع الإسلام الحل الأمثل لظاهرة الفقر العالمي للبشرية جمعاء.

الزكاة

الزكاة ركن من أركان الإسلام لتوطيد العلاقات الاجتماعية، وهو مال يؤخذ من الأغنياء فيُرَدُّ على الفقراء في كل عام إذا بلغ النصاب ودار عليه الحول، والنصاب ما قيمة 85 جرام من الذهب الخالص(24 قيراط)، فسعدت المجتمعات الإسلامية عندما طبقت فرض الزكاة فاطمئن الفقير على حياته وسعد الغني بماله وممتلكاته، وإنّ المتأمل في أسباب معظم الجرائم التي تعاني منها البشرية اليوم الغنى الفاحش والفقر المدقع، فالزكاة من شعائر هذا الدين ولأهميتها تأتي مقرونة بالصلاة، وهي الركن الثالث في الإسلام فقال تعالى في سورة البقرة:{ وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ **وَآتُواْ الزَّكَاةَ** وَارْكَعُواْ مَعَ الرَّاكِعِينَ}(43)، وقال تعالى في سورة البقرة:{ وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ **وَآتُواْ الزَّكَاةَ** وَمَا تُقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللّهِ إِنَّ اللّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}(110)، كما رغَّب الله تعالى في أداء الزكاة فقال في سورة البقرة:{ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ **وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ** لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ **وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ**(277)، وبيَّن تعالى أن الزكاة تجلب الرحمات فقال تعالى في سورة التوبة:{ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ **وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ** وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ **أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ** إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}(71)، كما أكد رسول هذه الأمة فرض الزكاة كما جاء في صحيح الإمام البخاري عن بن عباس- رضي الله عنهما- أن النبي- صلى الله عليه وسلم- بعث معاذاً رضي الله عنه إلى اليمن فقال:{ ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فإن هم

أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم **صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وتُرَدُّ على فقرائهم}**، وعندما ضيقت بعض الفرق – كالشيعة – الزكاة واعتاضت عنها بفرض الخمس والذي يؤخذ من الفقير والغني على حد سواء ازداد الفقير فقرا ولم يجد من يسد فقره.

الصدقة

عضد هذا الدين إعانة الفقير بالحض على الصدقة والتي ليس لها وقت علاوة على الزكاة فقال تعالى في سورة النساء:{ لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ **أَمَرَ بِصَدَقَةٍ** أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتَغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ **فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً**}(114)، كما حض على إخفائها صيانة لكرامة الفقراء وبيَّن فضلها في تكفير السيئات فقال تعالى في سورة البقرة:{ إِن تُبْدُواْ الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ **وَإِن تُخْفُوهَا** وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاء **فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ** وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}(271)، وبيّن تعالى أن أجرها مضاعف في الآخرة فقال تعالى في سورة الحديد:{ إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً **يُضَاعَفُ لَهُمْ** وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ}(18)، وأن أجرها قد يضاعف إلى سبعمائة ضعف فقال تعالى في سورة البقرة:{ مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ **سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ** وَاللّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ(261)، وبيّن تعالى أنه لا يمكن المساواة بين المتصدق وغير المتصدق فقال تعالى في سورة النحل:{ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً عَبْداً مَّمْلُوكاً لاَّ يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقاً حَسَناً فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرّاً وَجَهْراً هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ}(75).

الكفّارات

ومن الصور الأخرى لتوطيد العلاقة بين الغني والفقير أن فرض الكفارات، فشرع في كفارة الحنث في القسم إطعام مساكين أو كسوتهم أو تحرير رقبة كما قال تعالى في سورة المائدة:{ لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ **إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ** مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ **أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ** فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُواْ أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}(89)، وأما في كفَّارة المظاهرة فإطعام ستين مسكينا كما قال تعالى في سورة المجادلة:{ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا **فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ** مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (3) فَمَن لَّمْ يَجِدْ **فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ** مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ **فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِيناً** ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ}(4)، أما كفَّارة الصيام فإطعام مساكين وضَّح تعالى فقال في سورة البقرة:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ(183) أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ **فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ** فَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ}(184)، أما كفارة الصيد في الحج فالتصدق على الفقراء والمساكين كما قال تعالى في سورة المائدة:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْتُلُواْ الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّداً فَجَزَاء مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْياً بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ **طَعَامُ مَسَاكِينَ** أَو عَدْلُ ذَلِكَ صِيَاماً

لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللّهُ عَمَّا سَلَف وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللّهُ مِنْهُ وَاللّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ}(95).

الأضحية

ندب الإسلام الأضحية عن كل أسرة في كل عام لتوطيد العلاقة الأسرية والاجتماعية وكسر حاجز الفقر، والتي يُسَنُّ تقسيمها إلى ثلاثة أقسام، فقسم للمضحي، وقسم الأهل والأقرباء ولأصدقاء، وقسم للفقراء، وبهذا يكون الإسلام قد عزز الحياة الاجتماعية ماديا ومعنويا.

الميراث

حضَّ الإسلام على جعل نصيبا من الميراث للأقرباء واليتامى والمساكين فقال تعالى في سورة النساء:{ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ **أُوْلُواْ الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ** فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفاً}(8)، فبكل ذلك ربط هذا الدين العظيم المستويات الاجتماعية المختلفة في صور مشرفة لم تعرفها البشرية من قبل.

الصلاة والجمعة والأعياد والحج

كما أن الإسلام ربط بين مختلف فئات المجتمع من الناحية المعنوية بالشعائر لإثراء العلاقة الاجتماعية، فالشهادتان شعار يوحد جميع المسلمين على هذه الأرض وكل من ينضم إليهم، والصلوات الخمس اجتماع يومي على مستوى الأحياء ليتعرف الناس على بعضهم وينظرون في أحوالهم الدينية

والدنيوية، فيلتقي المسلمون في الحي الواحد خمس مرات في اليوم، ثم زاد هذه العلاقة توسعا في لقاء أسبوعي حيث يجتمع الناس من عدة أحياء في مكان واحد أيام الجُمَعْ، ثم سنّ لقاءان في السنة في عيدي الفطر والأضحى في المدينة الواحدة، وفرض الحج مرة في العمر ليجتمع فيه المسلمين من جميع أقطار الدنيا، فما أعظمه من دين.

الصيام

كما فرض الله تعالى الصيام لما فيه من منافع شتى ولحث الغني بمساعدة الفقراء ودفع الفقر عنهم، كما وفرض الإسلام كفارة لمن لا يستطيع الصوم بإطعام مسكين عن كل يوم.

الاستغناء عن طلب الناس

في المقابل حث الإسلام على الاستغناء عن الاستجداء وطلب ما في أيدي وأمر بالاعتماد على النفس في كسب الرزق، كما ورد في صحيح الأمام مسلم عن حكيم بن حزام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:{ اليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول، وخير الصدقة عن ظهر غنى، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله}.

ثانيا: العلاقات العامة

لتعزيز العلاقات الاجتماعية المعنوية سنّ الإسلام الأخوة الإيمانية، والتنافس في منفعة الناس، وعلى الإصلاح بين المتخاصمين، وتوقير الكبير

ورحمة الصغير، والمحافظة على النظافة الشخصية، ومبادرة الناس بالتحية وردِّ السلام ومشاركة الناس حتى في أحزانهم كعيادة المريض واتّباع الجنائز، كما سنَّ الاستئذان قبل الدخول عليهم.

الأخوة الإيمانية

شرع هذا الدين الأخوة الإيمانية بين المسلمين وعلى مستوى العالم ليتجاوز بذلك الحدود الدولية فقال تعالى في سورة الحجرات:{ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ** فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}(10)، كما بيّن رسول الله صلى الله عليه وسلم واجبات هذه الأخوة في الحديث الذي ورد في صحيح الإمام البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:{ **المسلم أخو المسلم** لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة}، فلم يحصر تلك العلاقة بين الرجال بل جعلها عامة للرجال والنساء فقال تعالى في سورة التوبة:{ **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ** يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَـئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}(71).

التنافس في منفعة الناس

لم يقتصر الإسلام على تلك الأخوة بل شرع لهم التنافس في منفعة الناس كما بيَّن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي ورد في مسند

الإمام أبي يعلى عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:{ **الخلق عيال الله فأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله**}، كما وحضّ الإسلام على تقديم الخير لكل الناس فقال تعالى في سورة سبأ:{ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ}(28).

الإصلاح بين الناس

لكي يبقى المجتمع منسجما أرشد الإسلام إلى إصلاح ذات البين فقال تعالى في سورة النساء:{ لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ **أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ** وَمَن يَفْعَلْ ذلِكَ ابْتَغَآءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً}(114)[1]، وقال سبحانه في سورة الأنفال:{ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ قُلِ الأَنفَالُ للَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُواْ اللَّهَ **وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ** وَأَطِيعُواْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}(1)، حتى وإن حصل القتال بين المؤمنين أنفسهم فقال تعالى في سورة الحجرات:{ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا **فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا** فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ(9) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}(10).

ولقد كان الإصلاح بين الناس من أولوياته صلى الله عليه وسلم وأن أدّى إلى التأخر عن حضور الجماعة كما تبيَّن في الحديث الذي ورد في صحيح الإمام البخاري عن سَهلِ بنِ سَعدٍ رضيَ اللهُ عنه قال:{ بَلغَ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم أنَّ بني عمرِو بن عوفٍ بقُباءٍ كان بينَهم شيءٌ، **فخَرَجَ يُصلحُ**

بينَهم في أناسٍ مِن أصحابِه، فحبسَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وحانَتِ الصلاة، فجاءَ بلال إلى أبي بكر رضي اللهُ عنهما فقال: يا أبا بكرٍ، إنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قد حُبِسَ وقد حانَتِ الصلاةُ، فهل لكَ أنْ تؤُمَّ الناسَ؟ قال: نعم إن شئتَ. فأقام بلالٌ الصلاةَ وتقدَّمَ أبو بكرٍ رضيَ اللهُ عنه فكبَّرَ للناس، وجاءَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يمشِي في الصُّفوفِ يَشُقُّها شَقّاً حتى قام في الصَّفِّ، فأخذَ الناسُ في التصفيحِ قال وكان أبو بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ لا يلتَفِتُ في صلاتِه، فلمَّا أكثَر الناسُ التفتَ، فإذا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، فأشارَ إليهِ يأمرهُ أن يُصلِّيَ، فَرَفَع أبو بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ يدَهُ فحمِدَ اللهَ، ثمَّ رَجِع القَهْقَرَى وراءهُ حتى قامَ في الصفّ، وتقدَّمَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فصلَّى للناسِ. فلمَّا فَرَغ أقبلَ على الناسِ فقال: يا أيُّها الناسُ، مالكم حينَ نابَكم شيءٌ في الصلاةِ أخَذتُم بالتَّصفيح، إنما التصفيحُ للنساءِ. ومن نابَهُ شيءٌ في صلاتِه فلْيَقُلْ سُبحانَ اللهِ. ثمَّ التَفَتَ إلى أبي بكرٍ رضيَ اللهُ عنه فقال: يا أبا بكرٍ، ما مَنعك أنْ تُصَلِّيَ للناسِ حِينَ أشرتُ إليك؟ قال أبو بكرٍ: ما كانَ يَنبغي لابنِ أبي قُحافةَ أن يُصلي بينَ يدَيْ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم}.

ورغم أنّ الكذب من الكبائر إلا أن الإسلام رخَّص فيه إذا أريد به الإصلاح بين الناس كما ورد في صحيح الغمام البخاري عن أمَّ كُلثومٍ بنتَ عُقبةَ رضي الله عنها أخبرَتْهُ أنها سمعتْ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يقولُ:{ **ليسَ الكذّابُ الذي يُصلِح بينَ الناسِ** فينْمي خَيراً أو يقولُ خَيراً}، وكما ورد في سنن الإمام أبي داود عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:{ ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا بلى، قال:

صلاح ذات البين، وفساد ذات البين هي الحالقة}، وقال: لا تحلق الشعر بل تحلق الدِّين.

توقير الكبير ورحمة الصغير

لدعم الحياة الاجتماعية بين البشر حضَّ الإسلام على توقير الكبير ورحمة الصغير، كما ورد في سنن الإمام أبي داود عن بن السرح رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:{ **من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا فليس منا**}.

التحيَّة وعيادة المريض واتِّباع الجنائز

دعما للأواصر الاجتماعية سن الإسلام التحية لتأليف القلوب وربط الناس بعضهم ببعض، فقال تعالى في سورة النور:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا **وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا** ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}(27)، وقال تعالى في سورة النور:{... **فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ** تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُون}(61)، كما أمر بردِّ التّحية بأفضل منها كما قال تعالى في سورة النساء:{ وَإِذَا حُيِّيْتُم بِتَحِيَّةٍ **فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا** إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً}(86)، كما وبيّن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنها وعيادة المريض واتباع الجنائز وإجابة الدعوة وتشميت العاطس من الحقوق التي يجب العمل بها، كما جاء في صحيح الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:{ حق المسلم على المسلم

خمس **رد السلام وعيادة المريض واتباع الجنائز وإجابة الدعوة وتشميت العاطس}**، وبيَّن صلى الله عليه وألـه وسلم أن السلام رسول المحبة وأمر بإفشائه وعلى من عُرِف ومن لم يعرف، لما ورد في مسند الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:{ والذي نفسي بيده، لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ثم قال: هل أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ **افشوا السلام بينكم}**.

الاستئذان والزينة

شرع الإسلام التأدب في الدخول في على الأهل فشرع الاستئذان عموما وعند الدخول على الأبوين قبل البلوغ وبعده، وبيّن حدود زينة النساء اللاتي لا يرجون الزواج لكبر سنِّهن فقال تعالى في سورة النور:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا **لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ** ثَلاثَ مَرَّاتٍ مِن قَبْلِ صَلاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلاةِ الْعِشَاء ثَلاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ(58) وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ **فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ** كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ(59) وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاء اللاتِي لا يَرْجُونَ نِكَاحاً **فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ** وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}(60).

النظافة الشخصية

حيث أن الإنسان اجتماعيا بفطرته دعا هذا الدين بالاعتناء بالنظافة الشخصية وجسَّدها في الوضوء والذي قد يصل إلى خمس مرات في اليوم أو أكثر، وأمر بتعاهد الأماكن التي قد تكمن فيها الأوساخ كما جاء في صحيح الإمام البخاري عن بن عباس:{ أنه توضأ فغسل وجهه ثم أخذ غرفة من ماء فمضمض بها واستنشق ثم أخذ غرفة من ماء فجعل بها هكذا أضافها إلى يده الأخرى فغسل بهما وجهه ثم أخذ غرفة من ماء فغسل بها يده اليمنى ثم أخذ غرفة من ماء فغسل بها يده اليسرى ثم مسح برأسه ثم أخذ غرفة من ماء فرش على رجله اليمنى حتى غسلها ثم أخذ غرفة أخرى فغسل بها رجله يعني اليسرى ثم قال هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ}، كما أمر بالاغتسال من الجنابة كما ورد في صحيح الإمام البخاري عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم:{ أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا **اغتسل من الجنابة** بدأ فغسل يديه ثم يتوضأ كما يتوضأ للصلاة ثم يدخل أصابعه في الماء فيخلل بها أصول شعره ثم يصب على رأسه ثلاث غرف بيديه ثم يفيض الماء على جلده كله}، وحث على الاغتسال فيما لا يقل عن مرة في الأسبوع في الحديث الذي ورد في سنن الإمام إبي داود عن حفصة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:{ على كل محتلم رواح الجمعة **وعلى كل من راح إلى الجمعة الغسل}**، وشرع العلماء الاغتسال لكل المناسبات التي يجتمع فيها للناس من أعياد وأفراح وغيرها.

ثالثا: العلاقة بالأفراد

من المميزات التي دعت المسلمون إلى دعوة الناس إلى دين الله تعالى وقبولهم هذا الدين أنه عزز العلاقة بعموم الناس، فاعترف بكل الرسالات ووضع أسس عادلة تقوم على الاحترام المتبادل، وأمر بحسن التعامل مع الخدم، والجار واليتيم والمرأة والأطفال واللقطاء والمساكين وابن السبيل الكفار والمشركون والمعاهدون وحض على توقير الكبير ورحمة الصغير.

الاعتراف بجميع الرسل

لينسجم المجتمع اعترف الإسلام بكل الرسالات كما قال تعالى في سورة البقرة:{ **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ** كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ **لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ** وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ}(285)، ومما يؤسف له أن دماء المسلمين لم تُصَنْ على مرِّ التاريخ بعد سقوط الدولة العثمانية والتي كانت تمثل لإسلام في ذلك الوقت، بل استبيحت دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم من معظم الديانات والحضارات رغم أن الإسلام ضمن حقوقهم في الدولة المسلمة.

الإحسان إلى الخدم

منح الإسلام حقوقا للخدم فسنَّ حسن معاملتهم ليرقى بالعلاقات الإنسانية، فجاء في صحيح الإمام البخاري عن أنسٌ رضيَ الله عنه قال:{ خَدمتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم عشر سنينَ، فما قال لي أُفّ، ولا: لمَ صَنعتَ؟ ولا ألا صنعت}، بل حتى في المأكل والملبس وأمر بعدم تكليفهم ما

لا يطيقون من الأعمال كما جاء عن أبي ذرٍ قال:{ رأيتُ عليهِ بُرْداً وعَلَى غُلامهِ بُرداً، فقلت: لو أخذتَ هذا فلبِستَه كانت حُلة، وأعطيتَهُ ثوباً آخر، فقال: كان بيني وبينَ رجلٍ كلام، وكانت أمُّه أعجميَّة، فنِلتُ منها، فذكرَني إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال لي: أسابَبْتَ فلاناً؟ قلت: نعم. قال: أَفنِلْتَ من أمِّه؟ قلتُ: نعم. قال: إنكَ امرؤٌ فيكَ جاهلية. قلتُ: على حينِ ساعتي هذهِ من كِبر السنّ؟ قال: نعم، **هم إخوانُكم** جَعَلهم اللّهُ تحتَ أيديكم، فمن جعلَ اللّهُ أخاهُ تحتَ يدهِ **فلْيُطْعِمْهُ مما يأكل، وليُلْبِسْه مما يَلبَس، ولا يكلِّفه من العملِ ما يَغلبه، فإن كلفَهُ ما يَغلِبُه فليُعِنه** عليه}.

الإحسان إلى الجار

أوصى الإسلام بحسن معاملة الجار وإن كان غير مسلم دعما للعلاقة الاجتماعية، فقال تعالى في سورة النساء:{ وَاعْبُدُواْ اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ **وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ** وَالصَّاحِبِ بِالجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً}(36)، وأكد عليها رسول الله– صلى الله عليه وآله وسلم– كما ورد في صحيح الإمام البخاري عن عائشةَ رضيَ الله عنها عنِ النبيّ صلى الله عليه وسلم قال:{ ما زال جِبريلُ **يُوصيني بالجار** حتىٰ ظننتُ أنهُ سيُوَرِّثه}، وبيّن صلى الله عليه وآله وسلم أن الإحسان إلى لجار من الإيمان كما جاء في صحيح الإمام البخاري عن أبي هريرة قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم:{ **من كان يُؤمن بالله واليوم الآخرِ فلا يُؤذِ جارَه**، ومن كان يُؤمن بالله واليوم الآخِرِ فلْيُكرِم ضَيفَه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخرِ فلْيَقُلْ

خيراً أو ليَصمُت}، وحضّ على التعاون مع الجار والسعي في حاجته كما جاء في مسند الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:{ **لا يمنع جار جاره أن يغرز خشبه في جداره** ثم يقول أبو هريرة مالي أراكم عنها معرضين والله لأرمينّ بها بين أكتافكم}، وأن كثرة العبادة لا تغفر ذنب إيذاء الجار كما ورد في صحيح الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:{ قال رجل: يا رسول الله إن فلانة يذكر من كثرة صلاتها و صيامها و صدقتها، غير أنها **تؤذي جيرانها بلسانها، قال: هي في النار**. قال: يا رسول الله، فإن فلانة يذكر من قلة صيامها صدقتها وصلاتها، أنها تصدق بالأتوار من الأقط، **ولا تؤذي جيرانها بلسانها، قال: هي في الجنة}**، كما بيّن أن الإيمان ينتفي إذا فعل ذلك كما ورد في صحيح الإمام البخاري عن أبي شُرَيح رضي الله عنه أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال:{ واللهِ لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن. قيل: ومَن يا رسولَ الله؟ قال: **الذي لا يأمنُ جارهُ بوائقَه}**، والبوائق هي اختلاسات العين واليد وجميع الشرور.

الإحسان إلى الأرملة واليتيم

لم يترك هذا الدين باباً من تعزيز العلاقة الاجتماعية والمحافظة على الحقوق إلا طرقه، فحضّ على الاعتناء بأموال الأيتام، وأمر على إرجاعها إليهم عند بلوغهم الرشد، وحذر من الإسراف في النفقة عليهم أو الإسراع في إنفاقها حال صغرهم فقال تعالى في سورة النساء:{ وَابْتَلُواْ الْيَتَامَى حَتَّىَ إِذَا بَلَغُواْ النِّكَاحَ **فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُواْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَأْكُلُوهَا إِسْرَافاً وَبِدَاراً**

أَن يَكْبَـرُواْ وَمَـن كَـانَ غَنِيّـاً فَلْيَسْـتَعْفِفْ وَمَـن كَـانَ فَقِيـراً فَلْيَأْكُـلْ بِـالْمَعْرُوفِ فَـإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْـهِدُواْ عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللّهِ حَسِيباً}(6)، وحضّ على عدم الإساءة في استغلال أموال اليتامى وأمر بالحفاظ عليها حتى يكبروا فقال تعالى في سورة الإسراء:{ وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ **حَتَّـى يَبْلُـغَ أَشُدَّهُ** وَأَوْفُـواْ بِالْعَهْـدِ إِنَّ الْعَهْـدَ كَـانَ مَسْـؤُولاً}(34)، وحبب للمقتدرين الإنفاق على اليتامى من أموالهم الخاصة فقال تعالى في سورة الإنسان:{ **وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَـى حُبِّـهِ مِسْكِيناً وَيَتِيمـاً وَأَسِيراً**}(8)، وأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالعناية باليتيم كما ورد في صحيح الإمام البخاري عن سهل بن سعد عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال:{ **أنـا وكافـلُ اليتـيم فـي الجنَّـةِ هكـذا**. وقال بإصبَعَيهِ السَّبّابة والوُسطى}.

كما وحض الإسلام على السعي في حاجة الأرامل والمساكين كما جاء في صحيح الإمام البخاري عن صَفوانَ بن سُليمٍ رضي الله عنه يرفعُه إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال:{ **الساعي على الأرملةِ والمِسكين** كالمجاهد في سبيلِ الله، أو كالذي يصوم النهارَ ويقومُ الليل}، كما وحرَّج على الاعتداء على حقوقهما كما جاء في صحيح الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:{ اللهم إني أحرج حق الضعيفين **اليتيم والمرأة**}.

الإحسان إلى الأطفال واللقطاء

أعطى الإسلام الحقوق لكافة فئات المجتمع، فللأطفال حق في الإسلام من حسن التربية والمخالطة والملاطفة واللعب والمتعة المشروعة كما ورد في

مسند الإمام أحمد عن عائشةَ رضي الله عنها زوجَ النبي صلى الله عليه وسلم حدَّثَته قالت:{ جاءتني امرأةٌ معها ابنتانِ تَسألني، فلم تجدْ عندي غيرَ تمرةٍ واحدة، فأعطيتها، فَقَسَمَتْها بينَ ابنتيها، ثم قامت فخرَجَت، فدخلَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم فحدَّثتُه، فقال: **من يَلي من هذهِ البناتِ شيئاً فأحسَن إليهنَّ كنَّ له سِتراً من النار**}، كما وحثّ الدين على مخالطة الأطفال كما ورد في صحيح الإمام البخاري عن أبي التَّيّاح قال: سمعتُ أنسَ بن مالك رضي الله عنه يقول:{ إن كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم **ليخالِطُنا** حتى يقولَ لأخ لي صغير: يا أبا عُمَير، ما فَعلَ النغَير؟}، وكان الرسول الكريم يسمح لصاحبات أم المؤمنين عائشة باللعب معها كما جاء في صحيح الإمام البخاري عن عائشةَ رضيَ الله عنها قالت:{ كنتُ ألعَبُ بالبنات عندَ النبي صلى الله عليه وسلم، وكان لي صَواحبُ يَلعبنَ معي، فكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل يَتَقَمَّعْنَ منه، **فيُسَرِّبهنَّ إليَّ فيلعَبْنَ معي**}، كما بيّن- صلى الله عليه وسلم- أن العناية بالصغار جائزة حتى في الصلاة كما ورد في صحيح الإمام البخاري عن أبو قتادةَ رضي الله عنه قال:{ خرجَ علينا النبيُّ صلى الله عليه وسلم **وأُمامَة بنتُ أبي العاص على عاتِقه فصلى**، فإذا ركعَ وضعها، وإذا رفعَ رفعَها}.

الإحسان إلى المساكين وابن السبيل والسائلين وتحرير الأرقاء

أوصى هذا الدين بحسن معاملة القرابة والمساكين وابن السبيل(المسافر الذي فقد ماله) والإحسان إليهم فقال تعالى في سورة الروم:{ فَآتِ **ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ** ذَلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ

الْمُفْلِحُونَ}(38)، كما وأمر بالنفقة عليهم فقال تعالى في سورة الحشر:{ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ **وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ** وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ}(177)، وأمر كذلك بالإحسان إليهم فقال تعالى في سورة النساء:{ وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً **وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ** وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ **وَابْنِ السَّبِيلِ** وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً}(36)، كما جعل لهم نصيباً من غنيمة الحرب فقال تعالى في سورة التوبة:{ وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ **وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ** إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}(41)، وكذلك خصص له نصيباً من الفيء فقال تعالى في سورة الحشر:{ مَّا أَفَاء اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ **وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ** كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاء مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}(7)، وكذلك فرض لهم من الزكاة فقال تعالى في سورة التوبة:{ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ **لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ** وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللّهِ **وَابْنِ السَّبِيلِ** فَرِيضَةً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}(60).

الإحسان إلى الكفار والمشركون والمعاهدون

وضع هذا الدين العظيم قاعدة عريضة لعدم الإساءة إلى أحد من البشر سواء المسلمين أو غيرهم، وشرع أن لا محاباة في ظلم الناس، وأنّ الكل مجازى بعمله فقال تعالى في سورة النساء:{ لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ **مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا**}(123)، كما أمر بعدم التعرُّض أو سب الكفار بسبب عبادتهم غير الله تعالى ولا سبّ آلهتهم كما قال تعالى في سورة الأنعام:{ **وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ** فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}(108)، كما وحضّ الإسلام على إجارة المشرك فقال تعالى في سورة التوبة:{ **وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ** حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللهِ **ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ** ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ}(6)، بل حضّ الإسلام على جواز حسن الصلة معهم كما جاء في سنن الإمام أبي داود عن ابنَ عمرَ رضي الله عنهما يقول:{ رأى عمرُ حُلَّةً سِيَراءَ تباع، فقال: يا رسولَ الله، ابتَعْ هذهِ والبَسْها يومَ الجمعة وإذا جاءَكَ الوفود. قال: إنما يَلبسُ هذه من لا خَلاقَ له. فأتيَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم منها بحُلَل، فأرسلَ إلى عمرَ بحلةٍ فقال: كيف ألْبسُها وقد قلتَ فيها ما قلتَ؟ قال: إني لم أعطكَها لتَلبَسَها، ولكن تَبيعها أو تَكسُوها. فأرسل بها عمر **إلى أخ له من أهلِ مكةَ قبلَ أن يُسلم**}، ونهى رسول هذه الأمة عن ظلم المعاهد أو غيره كما ورد عن صفوان بن سليم رضي الله عنه عن عدة من أبناء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن آبائهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:{ ألا من

ظلم معاهدا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس **فأنا حجيجه يوم القيامة}.**

ملخص المبحث

فإقامة كامل شرائع الله تعالى تعني تعزيز العلاقات الاجتماعية، وتوطيد العلاقة بين الغني والفقير بالزكاة والصدقة والكفارات والأضحية والميراث، وبالصلوات والجُمع والأعياد والحج، والصيام والحث على الاعتماد على النفس، ويعني توطيد العلاقات العامة بالأخوة الإيمانية والتنافس في منفعة الآخرين والإصلاح بين الناس، وتوقير الكبير ورحمة الصغير، والتحية وعيادة المريض واتباع الجنائز، وللالتزام بقواعد الاستئذان والزينة والحث على النظافة الشخصية، كما وتقوية العلاقة بالأفراد والاعتراف بجميع الرسالات، ولسن حسن معامله الخادم والجار والأرملة واليتيم والأطفال واللقطاء والمساكين وابن السبيل والكفار والمشركين والمعاهدين لإقامة المجتمع الأمثل للبشرية، ولذلك تمسكت البشرية بهذا الدين العظيم وهو ما تحتاجه الحضارة البشرية اليوم.

الباب الثاني

المبحث الثالث: شرائع الإسلام العامة

من الأسباب التي أدت إلى قبول الناس الإسلام والتمسك به أنّ تشريعات الإسلام العامة جاءت لرفع قدر الإنسان والمرأة، وللمساواة بين البشر، وبين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات، ولإقامة العدل بين الناس، وللمحافظة على النفس والعقل والدماء والأموال والنسل أو الأعراض، وللنهي عن الظلم والفساد، والحض على فعل الخير، ولإتقان العمل، والأمر بالاقتصاد في الأمر كله، ولتخفيف شرائع الديانات السابقة لإقامة المجتمع الأمثل في الأرض.

رفع قدر الإنسان

قرّر الإسلام فضل الإنسان بصفة عامة على بقية المخلوقات ورفع قدره فبيّن الله تعالى أنّه أسجد الملائكة لأبيهم آدم عليه السلام وهو رمز البشرية جمعاء فقال تعالى في سورة الأعراف:{ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ **ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ** فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ}(11)، وأنّه تعالى صوّره في أحسن صورة فقال تعالى في سورة التين:{ **لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ**}(4)، وبيّن جلّ وعلا بعض الفضائل التي مَنَّ بها عليه فقال تعالى في سورة الإسراء:{ وَلَقَدْ **كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ** وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ **وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً**}(70)، وميزه سبحانه بالقدرة على التعلم كما قال تعالى في سورة البقرة:{ **وَعَلَّمَ آدَمَ** الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ }(31)، وجعله تعالى خليفته في الأرض فقال كما قال تعالى في سورة البقرة:{ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي **جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً** قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ

فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ}(30).

بل وسخّر للإنسان كل ما في الكون كما قص تقدست أسمائه فقال تعالى في سورة النحل:{ وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ(5) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ(6) وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ(7) وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ(8) وَعَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ وَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ(9) هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ(10) يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ(11) وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالْنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالْنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ(12) وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ(13) وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ(14) وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَاراً وَسُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ(15) وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ(16) أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ(17) وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ}(18)، والآيات في ذلك كثيرة.

رفع قدر المرأة

أما رحمة الله تعالى بالنساء فهي من أعظمها عليهن، فقد كانت المرأة توأد حية خشية العار، وكانت قبل الإسلام لا ترث شيء البتة، بل كانت جزءاً

من الميراث، بل إنّ بعض الديانات كانت تتساءل ما إذا كانت المرأة بشر أم لا! وأن اليهود كانوا لا يأكلون مع المرأة أثناء حيضها، بل كانوا يعتزلونها حتى في الفراش، فهدم الإسلام ذلك واستنكر على العرب في جاهليتهم وأد المرأة فقال تعالى في سورة التكوير:{ وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ(8) **بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ**}(9)، ورفع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكانتها على الآباء وأمر بحسن صحبتها وكما ورد في صحيح الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:{ يا رسول الله من **أحق الناس بحسن صحابتي** قال **أمك** قال ثم من قال **ثم أمك** قال ثم من قال **ثم أمك** قال ثم من قال ثم أبوك}، وكما ورد في سنن الإمام النسائي عن المقدام بن شريح عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت:{ كنت أشرب وأنا حائض ثم أناوله النبي صلى الله عليه وسلم فيضع فاه على موضع فيَّ فيشرب، وأتعرق العرق وأنا حائض ثم أناوله النبي صلى الله عليه وسلم فيضع فاه على موضع فيَّ}، والأمثلة في ذلك كثير.

المساواة بين البشر

أبطل هذا الدين العظيم جميع الدعوى التي ادّعاها البشر لتفاضل بعضهم على بعض، فألغى ما يسمى بالشعوبية والساميّة وغيرها، وأكد أنّ ربهم واحد، وأنّهم خلقوا من نفس واحدة كما قال تعالى في سورة النساء:{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ **رَبَّكُمُ** الَّذِي خَلَقَكُم مِّن **نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ** وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً}(1)، وقال تعالى في سورة الأنعام:{ وَهُوَ الَّذِيَ أَنشَأَكُم مِّن **نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ**

فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ}(98)، وقال تعالى في سورة الزمر:{ خَلَقَكُم مِّن **نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ** ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنْ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ}(6)، وأنّ البشر خلقوا من ذكر وأنثى فقال تعالى في سورة الحجرات:{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم **مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى** وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}(13)، وأنّ الأصل في خلق البشر هو التراب فقال تعالى في سورة الروم:{ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ}(20).

ولقد أكد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن الله تعالى هو رب جميع البشر، فلا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى كما جاء في مسند الإمام أحمد عن أبي نضرة عن من سمع قال: حدثني من سمع خطبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في وسط أيام التشريق فقال:{ يا أيها الناس، ألا إن **ربكم واحد**، وإن **أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى**، أبلغت؟ قالوا: بلغ رسول الله صلى الله عليه و سلم، .....}.

المساواة بين الرجل والمرأة

ساوى هذا الدين بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات فقال تعالى في سورة التوبة:{ **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ** بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَـئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}(71)، بل وساوى بينهم في الجزاء فقال تعالى

في سورة الأحزاب:{ **إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ** أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً}(35)، وقال تعالى في سورة التوبة:{ **وَعَدَ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ** جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ **أَكْبَرُ** ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ }(72)، وقال تعالى في سورة الحديد:{ **يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ** يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ }(12).

إقامة العدل

جاء الإسلام لإقامة العدل بين الناس ولو على النفس أو الوالدين أو الأقربين فقال تعالى في سورة النساء:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ **وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ** إِن يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقِيراً فَاللّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُواْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً}(135)، بل وأمر بإقامة العدل مع الخصوم أو من لا يُرغب فيه من الناس فقال تعالى في سورة المائدة:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ **وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ** اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}(8)، وهذا منتهى العدالة التي ينشدها

الإسلام، وإن التاريخ الإسلامي حافل بقصص العدل التي أقامها المسلمون في أصقاع الأرض.

المحافظة على النفس والعقل

جاء الإسلام للمحافظة على النفس والعقل فحرّم أكل كل خبيث فقال تعالى في سورة المائدة:{ **حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ** وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِالأَزْلاَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لإِثْمٍ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}(3)، كما حرّم الخمر لما له من أضرار فقال تعالى في سورة النساء:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ(90) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن **يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ** فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ}(91)، فأضرار الخمر لا تخفى على أحد من تفشي الجريمة وحوادث الطرق وتلف الكبد وغيرها من المفاسد، وللحفاظ على النفس حرم الإسلام الانتحار لما له من خسارة من الناحية المادية على الأهل والمجتمع والدولة، كما ورد في صحيح الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:{ من تردّى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيها خالداً مخلداً فيها أبداّ ومن تحسّى سُمّاً فقتل نفسه

فسُمّه في يده يتحسّاه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يجأ بها في بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً}.

المحافظة على الدماء

حرم هذا الدين العظيم القتل العمد وأمر بالمحافظة على أرواح البشر وبيّن أنّ ذلك التحريم بدأ من عهد آدم عليه الصلاة والسلام فقال تعالى في سورة البقرة:{ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ **نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ** إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ **قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ** قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ(27) لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ(28) إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاء الظَّالِمِينَ(29) **فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ** فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ(30) فَبَعَثَ اللّهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ(31) مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ **أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً** وَلَقَدْ جَاءتْهُمْ رُسُلُنَا بِالبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِّنْهُم بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ(32)، وبين الله تعالى أن قتل النفس المؤمنة من أعظم الذنوب فقال تعالى في سورة النساء:{ وَمَن **يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً** فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً}(93)، وكذلك حرَّم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الاعتداء على الدماء في حجة الوداع في الحديث الذي ورد في صحيح الإمام البخاري عنِ عمرَ رضيَ الله عنهما قال:

قال النبي صلى الله عليه وسلم بمنى:{ أتدرونَ أيَّ يوم هذا؟ قالوا: اللهُ ورسولهُ أعلم، قال: فإنَّ هذا يومٌ حَرام. أتَدرونَ أيَّ بلد هذا؟ قالوا: الله ورسولهُ أعلم. قال: بلدٌ حرام. أفَتدرونَ أيَّ شهر هذا؟ قالوا اللهُ ورسولهُ أعلم. قال: شهرٌ حَرام. قال: فإن الله **حرَّم عليكم دِمَاءَكُمْ وأموالكم وأعراضَكم كحرمةِ يومِكم هذا في شهرِكم هذا في بلدِكم هذا}**، ولذلك شرّع الإسلام القصاص العادل في القتل فقال تعالى:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ **كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنثَى** فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاء إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ}(178)، وهذه هي قمة العدالة بين البشر.

وقد يسأل سائل فيقول هل قتل الإنسان أو إعاقته بقطع يده أو جلده أمام الناس هو رحمة للعالمين؟ فنقول إن المتأمل في المؤسسات الناجحة على مستوى العالم وفي اليابان خاصّة أن العقوبات الصارمة فيها لا تقبل الجدل، فعلى سبيل المثال التأخر عن العمل لمرتين يكون جزائه الفصل من الخدمة(من المعلوم أن المؤسسة في اليابان تقدم جميع الخدمات لموظفيها من تدريس الأولاد وعلاجهم وصيانة بيوت الموظفين وغيرها حتى يتفرغ الموظف تفرغاً كاملا لعمل المؤسسة) وقس على ذلك، فهذه الصرامة هي التي أوصلت تلك البلاد إلى ما وصلت إليه اليوم من تفاني جميع المواطنين للرقي ببلادهم على جميع المستويات، وقد يقال إن ضرر تأخر الموظف يعود على المؤسسة وعلى الموظف فقط فلم هذه الصرامة؟ ومن الممكن أن يخصم من مرتب الموظف ما يقابله، فكيف يرمى إنسان إلى الشارع بهذه الجريرة؟ وأن تلك الصرامة تشكل عبئاً على الدولة، وأن هذه تلك المؤسسة واحدة من آلاف

المؤسسات في ذلك البلد فما تأثير ذلك عليها؟ إن المتأمل في جداول الجزاءات أو العقوبات لأي مؤسسة يرى أن كل المؤسسات الناجحة صارمة في العقوبات فقد تبدأ بالإنذار الشفوي أو الكتابي أو الإنذار النهائي أو الفصل مباشرة من الخدمة، وأن أنظمة التحفيز عالية كذلك ولذلك يلتزم الموظف بقواعد العمل فلا يتأخر عن الحضور ويبذل قصارى جهده في تحسين الإنتاجية والقدوة الحسنة وغيرها.

أما ضرر الجريمة فيعود على الشخص نفسه وعلى المجني عليه وعلى الحي والقرية والمدينة التي تقع فيها الجريمة، ولذلك يفر الناس منها تاركين منازلهم وممتلكاتهم بسبب انعدام الأمن والأمان وتسوء سمعة الدولة عالميا ويوصم بتلك الجريمة، فأي الضررين أكبر؟ ثم إن المتأمل في واقع القوانين الوضعية التي تعالج الجريمة يرى أن المذنب يدخل السجن بجريمة واحدة ويخرج بمجموعة كبيرة من الجرائم فيرهب مجتمعه كله بما اكتسبه من خبرات إجرامية، ولذلك جاء الإسلام بتشريعات تنفي كل ما يضر بالمجتمعات من أنواع الجريمة والفساد ليكون المجتمع مناراً للبشرية جمعاء، ولذلك وشدد العقوبات ليرتدع المعتدون على المجتمع والأمة.

المحافظة على الأموال

كون المال عصب الحياة حرَّم الإسلام جميع السبل المؤدية إلى كسب الأموال بغير حق سواء من قمار أو ميسر أو الربا أو غيره فقال تعالى في سورة النساء:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ **لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ** إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً}(29)، وقال

تعالى في سورة البقرة:{ وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ **وَتُدْلُواْ بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقاً مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ**}(188)، ولعدالة الشرع الإسلامي في هذا الجانب أصبحت البنوك الإسلامية تترقى وتنافس البنوك الربوية في عقر دارها بل وحرَّم الربا بكل صوره فقال تعالى في سورة الروم:{ وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّباً لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ **فَلا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ** وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ}(39)، وشبه آكل الربا بمن يتخبطه الشيطان فقال تعالى في سورة البقرة:{ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىَ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ(275) **يَمْحَقُ اللّهُ الْرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ** وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ}(276)، بل وتوعد تعالى الأمة بحرب منه ورسوله عند عدم الامتثال فقال تعالى في سورة البقرة:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ **وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا** إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ(278) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ **فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ** وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ}(279).

كما شرّع الإسلام المحافظة على أموال اليتامى فقال تعالى في سورة النساء:{ إِنَّ الَّذِينَ **يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً** إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً}(10)، إلى أن بيلغوا أشدهم ويحسنون التصرف فيها فقال تعالى في سورة الإسراء:{ وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ **حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ** وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً}(34)، ولأهمية المال أمر باختبار اليتامى قبل تسليم أموالهم إليهم فقال تعالى في سورة النساء:{ **وَابْتَلُواْ الْيَتَامَى**

حَتَّىَ إِذَا بَلَغُواْ النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُواْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَأْكُلُوهَا إِسْرَافاً وَبِدَاراً أَن يَكْبَرُواْ وَمَن كَانَ غَنِيّاً فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللّهِ حَسِيباً}(6).

المحافظة على النسل والأعراض

شرع هذا الدين المجيد المحافظة على النسل وحماية الأعراض وسدَّ كل ضرر يؤدي إليها، وبيَّن تعالى أن الشيطان هو الذي يزيّن الفحش للإنسان فقال تعالى في سورة القرة:{ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ **وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء** وَاللّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}(268)، كما ونهى عن الزنا لما له من أضرار على المجتمع كانتشار الأمراض الجنسية فقال تعالى في سورة الإسراء:{**وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى** إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً }(32)، كما وشدد العقوبة فيه فقال تعالى في سورة النو:{**الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي** فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ(2)، كما وحرم الإسلام الفاحشة بين النساء أنفسهن وبين الرجال كذلك فقال تعالى في سورة النساء:{ وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَاسْتَشْهِدُواْ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىَ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً(15) وَاللَّذَانَ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمَا إِنَّ اللّهَ كَانَ تَوَّاباً رَّحِيماً(16)}، كما وبيّن أن المحافظة على طهارة فروج شرط من شروط الإيمان فقال تعالى في سورة الاحزاب:{إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ

وَالْمُتَصَـدِّقِينَ وَالْمُتَصَـدِّقَاتِ وَالصَّـائِمِينَ وَالصَّـائِمَاتِ **وَالْحَـافِظِينَ فُـرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ** وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً}(35).

وللمحافظة على النسل نهى الله تعالى عن فاحشة قوم لواط لما لها من خطورة على الأفراد والمجتمعات بانتشار الأمراض الفتاكة فقال تعالى في سورة الأعراف:{ وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّن الْعَالَمِينَ(80) إِنَّكُمْ **لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً** مِّن دُونِ النِّسَاء بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ}(81)، وسمّى تلك الفعلة الشنيعة عدوانية فقال تعالى في سورة الشعراء:{ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ(165) وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُم **بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ**}(166)، وسمّاها جهالة كذلك فقال تعالى في سورة النمل:{ وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ(54) أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاء **بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ**}(55)، ثم أن الله تعالى بيَّن العقاب الذي حل بقوم لوط كما وهدد البشرية جمعاء من ذلك العذاب وبيّن أن ذلك العذاب ليس بعيد عن كل من يقترفه إلى آخر الزمان فقال تعالى في سورة هود:{ قَالُواْ يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُواْ إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ(81) فَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ(82) مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ **وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ**}(83).

النهي عن الظلم

لإرساء الثقة في المجتمع نهى هذا الدين عن الظلم، وبيَّن تعالى أن الظلم سبب هلاك الأمم فقال تعالى في سورة يونس:{ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ **لَمَّا ظَلَمُواْ** وَجَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيّنَاتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ}(13)، وقال تعالى في سورة الكهف:{ وَتِلْكَ الْقُرَى **أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا** وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِداً}(59)، كما ونهى تعالى عن الركون إلى الظالمين فقال تعالى في سورة هود:{ **وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ** فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللّهِ مِنْ أَوْلِيَاء ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ}(113)، وبيّن تعالى أن العذاب يحيق بالإنسان بسبب الظلم فقال تعالى في سورة الشورى:{ إِنَّمَا السَّبِيلُ **عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ** وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ **أُوْلَئِكَ لَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ**}(42)، كما بيّن رسول هذه الأمة أنّ الظلم يكون ظلمات يوم القيامة كما جاء في صحيح الإمام البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:{ **الظلم ظلمات** يوم القيامة}، وحض الأمة أن ينهى بعضها بعضا عن الظلم كما جاء في صحيح الإمام البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:{ **انصر أخاك ظالما أو مظلوما**، فقال رجل يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوما أفرأيت إذا كان ظالما كيف أنصره؟ قال **تحجزه أو تمنعه من الظلم** فإن ذلك نصره}، كما وبيّن الرسول صلى الله عليه وسلم أنّ العصبية هي الإعانة على الظلم كما ورد في سنن الإمام داود عن بنت واثلة بن الأسقع أنها سمعت أباها يقول قلت يا رسول الله ما العصبية قال:{ **أن تعين قومك على الظلم** }، وبيّن أن للمظلوم دعوة لا ترد كما ورد في مسند الإمام أحمد عن أبي عبد الله الأسدي رضي الله عنه قال: سمعت أنس

بن مالك يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:{ اتقوا دعوة المظلوم وإن كان كافراً فإنه ليس دونها حجاب}، كما حضّ تعالى على التوبة من الظلم فقال تعالى في سورة المائدة:{ **فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ** وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}(39).

النهي عن الفساد

صيانة للمجتمع حرم الإسلام كافة أنواع الفساد وبيّن تعالى بعض أشكاله فقال تعالى في سورة البقرة:{ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ(204) **وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ** وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ(205) وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ}(206)، وقال تعالى في سورة الرعد:{ وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ **وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ** أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ}(25)، ولذلك نهى تعالى عن الفساد فقال تعالى في سورة المائدة:{ **وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا** وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنْ الْمُحْسِنِينَ}(56)، وغلظ العقوبة فيه فقال تعالى في سورة الأعراف:{ إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ **وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً** أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ}(33).

الحض على فعل الخير

في المقابل أمر الله تعالى بفعل الخير فقال تعالى في سورة النحل:{ إِنَّ اللّهَ **يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ** يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}(90)، ورغب فيه فقال تعالى في سورة القصص:{ مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ **فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا** وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}(84)، أمر تعالى بالتفرغ لفعله فقال تعالى في سورة آل عمران:{ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ **يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ** وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ **وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**}(104)، كما ورغب في التسابق في فعله فقال تعالى في سورة البقرة:{ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا **فَاسْتَبِقُواْ الْخَيْرَاتِ** أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ اللّهُ جَمِيعاً إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}(148).

إتقان العمل

لما لإتقان العمل من أثر بليغ في نهوض الأمم حثّ الله تعالى على إتقان العمل مشيراً إلى إتقان خلقه فقال تعالى في سورة النمل:{ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ **صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ** إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ}(88)، وحض رسول الله صلى الله عليه وسلم على إتقان العمل كله كما ورد في صحيح الإمام مسلم عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:{ إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً **أن يتقنه**}.

الأمر بالاقتصاد في كل شيء

أمر الإسلام بالاعتدال في النفقة حاثا على الاقتصاد في كل شيء ونهى عن الإسراف فقال تعالى في سورة الأنعام:{ يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ **وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّـهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**}(31)، وقال تعالى في سورة الأنعام:{ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ **وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّـهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**}(141)، كما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإسراف كما جاء في مسند الإمام أبي يعلى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:{ كل واشرب وتصدق **في غير سرف ولا مخيلة**}.

تخفيف شرائع الديانات الأخرى

ولقد جاءت شرائع الإسلام لتخفيف شرائع الديانات الأخرى كما قال تعالى في سورة الأعراف:{ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ **وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ** فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}(157).

خلاصة المبحث

فإقامة كامل شرائع الله تعالى على هذه الأرض جاءت لرفع قدر الإنسان والمرأة، وللمساواة بين البشر، وبين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات، ولإقامة العدل بين الناس، وللمحافظة على النفس والعقل والدماء والأموال والنسل أو الأعراض، وللنهي عن الظلم والفساد، والحض على فعل الخير، ولإتقان العمل، والأمر بالاقتصاد في الأمر كله، ولتخفيف شرائع الديانات السابقة، وكل ذلك أدى إلى قبول الناس الإسلام والتمسك به وذلك ما تحتاجه البشرية اليوم وما ينبغي لكل مسلم أن يتحدث عنه.

الباب الثالث

واجبات الأمة للوصول إلى هدفها الاستراتيجي

المبحث الأول: الضرورات الأساسية

للوصول إلى غاية الأمة هناك ضرورات أساسية وثانوية لا بد من تلبيتهما متزامنتين، فمن الضرورة الأساسية، ضرورة العمل على جمع كلمة الأمة، والذي يتمثل في الإجماع على هدف الأمة الاستراتيجي، والإجماع على أئمة القرون الثلاثة الأول، ودعوة الناس إلى دين هذه الأمة من خلال قيم ومبادئ وأخلاق هذا الدين العظيم الذي لا غنى للبشرية عنه، والذي تمت الإشارة إلى أغلبه في الباب الثاني، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. أما الضرورات الثانوية فتجتمع تحت ضرورة إعداد كل ما يستطاع من قوة للمحافظة على مكاسب الأمة وقيمها ومكانتها وحماية نفسها وشعوبها وحقوقها ودينها وعقيدتها ومبادئها. والذي يعني توظيف كل الموارد البشرية والطبيعية لتصب لصالح تلك الضرورات وهدف الأمة المنشود.

أولا: جمع كلمة المسلمين

للوصول إلى غاية الأمة التي فرضها الله تعالى عليها لا بد للأمة من الإجماع على هدفها الاستراتيجي الذي تمت الإشارة إليه في الباب الأول، ومما يجمع كلمة الأمة الإجماع على أئمة المسلمين الأربعة، الإمام أبي حنيفة النعمان، والإمام مالك، والإمام الشافعي، والإمام أحمد بن حنبل الذين شملتهم تزكية الله تعالى وتزكية ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، فمن الملاحظ أنه كلما تقدم الزمان ازداد عدد المذاهب الإسلامية وازداد تفرقها واختلافها، فمن الأجدر للأمة أن تجتمع على هذان الأمران.

الأمر بجمع كلمة المسلمين وعدم التفرُّق

أوجب تعالى على هذه الأمة أن تجتمع وتوحد صفها وجعل ذلك واجبا شرعيا مقدسا، وحذرها من التفرّق لتتمكن من الوصول إلى هدفها وغايتها، فقال تعالى في سورة آل عمران:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ(102) **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا** وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنْ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ }(103).

كما وأكد تعالى على عدم التفرق حتى لا تعود الأمة طوائفَ وشيعاً وأحزاباً كما كانوا عليه قبل الإسلام فتكون كخرقاء مكة تعيد غزلها القوي خيوطا ضعيفة لأي سبب من الأسباب فقال تعالى في سورة النحل:{ وَلا تَكُونُوا كَالَّتِي **نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا** تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلا بَيْنَكُمْ **أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى** مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمْ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ(92)، وحذر تعالى المسلمين من مشابهة المشركين في تفرقهم على آلهتهم فقال تعالى في سورة الأنعام:{ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ(30) مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ **وَلا تَكُونُوا مِنْ الْمُشْرِكِينَ**(31) **مِنْ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ**}(32).

ضرورة الإجماع على أئمة القرون الثلاثة الأُول

الأمر الآخر الذي يمكن أن يجمع كلمة الأمة ويقلل من اختلافها وتفرقها هو الإجماع على أئمة المذاهب الإسلامية الأربعة، الحنفي والمالكي والشافعي

والحنبلي، ولقد أجمعت الأمة على كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وعلى أئمة الحديث، فمن المهم أيضا أن تجتمع على أئمة الفقه الإسلامي، وذلك مستنبط من هدي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فقد زكى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم القرون الثلاثة الأُول وأجمعت الأمة على خيريتها، ، ولقد عبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك بعدة ألفاظ كخير أمتي، وخير الناس، وخير القرن، والقرن الذي أنا فيه، كما ورد في مسند الإمام أحمد عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:{ **خير أمتي** قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثا، ثم إن بعدكم قوما يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن}، ولئن يلقى المسلم ربه مقلدا من شملتهم تزكية الله ورسوله خير من أن يلقاه مقلدا غيرهم.

ومن المعلوم أنّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، فهذا الهدي مما أوحى تعالى إلى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، ولقد بُنِي الإسلام على فهمهم وتفقه الناس على مذاهبهم وأجمعت الأمة على عدالتهم وما زالت مدارسهم قائمة حتى اليوم، فإن الملاحظ عبر التاريخ أنه كلما خرجت فرقة جديدة بدعوى قديمة أو حديثة لم تزيد المسلمين إلا فرقة واختلافاً، وبذلك يكون قد فتح باب جديدا يستغله الشيطان وأعداء الإسلام للنيل من هذه الأمة، فليكن الجميع على حذر من هذه الفتن التي حذر منها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والتي تستشرف طالبها.

ولكن يجوز للأمة أن تختلف في الأولويات والخطط والأهداف المرحلية والوسائل والسبل كل حسب ظروفه وطاقته، فإن التقدم العلمي والصناعي الذي تشهده البشرية اليوم والإبداع في الصناعة الواحدة سببه الاختلاف في الفكر والفهم والرأي والتنفيذ في الوصول إلى الأفضل عند تساوي القيم والمعايير، فليس في ذلك بأس، فالمعيار بين أفضل الطوائف والفرق هو مقدار المصلحة المقدمة من كل فرقة لتحقيق ذلك الهدف، ولذلك فكل فكر وفهم ورأي وتنفيذ يؤدي إلى سهولة الوصول إلى تلك الغايات لا ضرر منه.

وللفائدة تم جدولة أهم رجالات القرن الثاني والثالث كما هو مبين أدناه.

أهم رجالات القرن الثاني والثالث

	الإمام	الاسم	الميلاد (هجري)	الوفاة (هجري)
		أهم رجالات القرن الثاني		
1	أبو حنيفة	النعمان بن ثابت التَّيْمِي	80	150

2	مالك بن أنس	مَالِكُ بنُ أَنَسِ بنِ مَالِكِ بنِ أبـي عَامِرِ بنِ عَمْرِو	94	179
3	الشَّافعيّ	مُـحَمَّدُ بنُ إدْرِيْسَ بنِ العَبَّـاسِ بنِ عُثْمَانَ بنِ شَافِعِ	150	204
4	أَحْمَدُ بنُ حَنْبَل	أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدٍ بنِ حَنْبَل بنِ هِلالٍ بنِ أَسَد الشَّيْبَانِي	164	241
		أهم رجالات القرن الثالث		
5	البُخاري	مُـحَمَّدُ بنُ إسْمَاعِيْـلَ بنِ إبْرَاهِيْـمَ بنِ الـمُغِيْرَةَ	194	256
6	أبو داود	سُلَيْمَانُ بنُ الأشْعَثِ بنِ شَدَّادَ بنِ عَمْرِو بنِ عَامِرِ	202	275
7	مُسْلِمُ	مُسْلِمُ بنُ الـحَجَّاجِ بنِ مُسْلِم القُشَيْرِي	204	261
8	ابن مَاجَة	مُـحَمَّدُ بنُ يَزِيد الرَّبَعِي القَزْوِينـيُّ	209	273
9	النسائي	أحمدُ بنُ شُعَيْبِ بنِ عَلِـيَ بنِ سِنَانٍ بنِ بَحْرٍ بنِ دِيْنَار	215	303

ثانيا: دعوة الناس إلى دين الله تعالى

لدعوة الناس إلى دين الله تعالى أهمية بالغة لتقوية الأمة ووصولها إلى غايتها العظمى، ومن أفضل ما يمكن دعوة الناس له هو ما تم التطرق إليه من أنّ الإسلام لا يتعارض مع العلوم الطبيعية الحديثة بل له السبق في كثير منها، وأنّ هذا الدين جاء لإصلاح الفرد عن طريق تعزيز الرقابة الذاتية، ولتزكية أخلاق البشر، ولتعزيز وتقوية العلاقات الأسرية والاجتماعية، ولإقامة شرائع عادلة لكل الناس، وحاجة البشرية ماسة لكل ذلك اليوم لتدعم حضارتها وتقدمها.

عالمية الإسلام

من المعلوم أنّ الإسلام دين عالمي وليس لأمة دون غيرها، فمحور هذه الرسالة هم البشر كما قال تعالى في سورة الأعراف:{ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي

رَسُولُ اللهِ إِلَـيْكُمْ جَمِيعا الَّـذِي لَـهُ مُلْكُ السَّموَاتِ والأَرْضِ لا إلـهَ إلاَّ هُوَ يحيـي ويُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِـيّ الأُمِّـيّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِـمَاتِه واتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}(158)، وقال تعالى مخاطباً رسوله- صلى الله عليه وآله وسلم- في سورة الزمر:{ إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنْ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ}(41)، وقال تعالى في سورة سبأ:{ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ}(28)، وقال تعالى في سورة الجاثية:{ هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ}(20)، وقال تعالى في سورة النحل:{ هَذَا بَلاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَـهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ}(52)، ويبيُّن تعالى ذلك لمحمد- صلى الله عليه وآله وسلم فيقول تعالى في سورة إبراهيم:{ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلا رِجَالا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ(43) بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}(44)، وكما ورد في مسند الإمام أحمد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: { أُعْطِيتُ خَمْساً لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: بُعِثْتُ إِلى الأَحْمَرِ وَالأَسْوَدِ، وَكانَ النّبِيُّ إِنّما يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلى النّاسِ عَامّةً، وَأُحِلَّتْ لِيَ الغَنَائِمُ، وَلَمْ تَحِلَّ لأَحَدٍ قَبْلِي، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مِنْ مَسِيرَةِ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الأرض طَهُوراً وَمَسْجِداً، فَأَيُّمَا رَجُلٍ أَدْرَكَتْهُ الصّلاةُ فَلْيُصَلِّ حَيْثُ أَدْرَكَتْهُ}.

ضرورة تبليغ الدين إلى الناس عامة

لتبليغ الدين للناس عامة أهمية قصوى ولذلك قال تعالى في سورة الحج:{ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكاً هُمْ نَاسِكُوهُ فَلا يُنَازِعُنَّكَ فِي الأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُّسْتَقِيمٍ}(67)، وكما قال تعالى في سورة القصص:{ وَلا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}(87). كما وبيّن تعالى أنّ دعوة الناس مسؤولية واجبة ومشتركة للرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- ومن آمن به كما قال تعالى في سورة يوسف:{ قُلْ هذه سَبِيلِيَ أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَآ أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}(108)، ولذلك حض الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- كل فرد الأمة بذلك كما ورد في صحيح الإمام البخاري عن عبدِ اللهِ بن عمرٍو رضي الله عنهما أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال:{ بلِّغوا عني ولو آيةً، وحدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرجَ، ومن كذَبَ عليَّ مُتعَمِّداً فليتَبوَّأْ مَقعدهُ منَ النار}.

ولقد بيّن الله سبحانه وتعالى للمسلمين أن الجِنَّ قد عرفوا تلك المسؤولية فحملوا الرسالة إلى جنسهم كما أخبر عنهم في سورة الأحقاف فقال تعالى:{ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنْ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ(29) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ(30) يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ(31) وَمَنْ لا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُوْلَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ}(32)، فعلى الأمة التأسي بفعلهم.

التحذير من عدم تبليغ الدين

ولأهمية الدعوة للإسلام حذر تعالى الأمم من كتمان رسالاته فقال تعالى في سورة آل عمران:{ وَإِذَ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاء ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْاْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ}(187)، وقال تعالى في سورة البقرة:{ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}(174)، وأنّ كتمان رسالة الله تعالى يستوجب لعنته كما قال تعالى في سورة البقرة:{ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنْ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُوْلَئِكَ يَلْعَنُهُمْ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمْ اللاعِنُونَ(159) إِلا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُوْلَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}(160).

ولقد أرشد الله تعالى الأمة بأنّ تبليغ رسالته من أشرف وأجل الأعمال فقال تعالى في سورة فصّلت:{ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنْ الْمُسْلِمِينَ}(33)، ولما ورد في مستد الإمام أحمد أنّ أفضل الناس هو من وهب نفسه للدعوة كما بيّن رسول هذه الأمة- صلى الله عليه وآله وسلم- لمعاذ بن جبل- رضي الله عنه- عندما قال:{ يا معاذ، لأن يهدي الله على يديك رجلاً من أهل الشرك، خير لك من أن يكون لك حمر النعم}، ولقد بيّن الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- للأمة أنّ القتال لا يشرع حتى تتم دعوة الناس إلى دين الله تعالى، كما ورد في صحيح الإمام البخاري عن سهلٌ ابنَ سعدٍ رضيَ الله عنه قال: قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم يومَ خَيبرَ:{ لأُعطِينَّ الرايةَ غداً رجلاً يَفتحُ اللهُ على يديهِ يُحِبُّ اللهَ ورسوله ويُحبُّه اللهُ

ورسولهُ، فباتَ الناسُ لَيلَتَهم أيهم يعطى، فغَدَوا كلُّهم يَرجوه، فقال: أين عليٌّ؟ فقِيل: يَشتَكي عينيهِ، فبصَقَ في عَينيهِ ودَعا لهُ فبَرأَ كأنْ لم يكن بهِ وجَعٌ، فأعطاهُ فقال: أُقاتلُهم حتّى يَكونوا مِثلَنا؟ فقال: انفُذ على رِسْلكَ حتّى تنزِلَ بساحتِهم، ثمَّ ادعُهم إلى الإسلام، وأخبِرْهم بما يَجبُ عليهم، فو اللهِ لأنْ يَهدِيَ اللهُ بكَ رجُلاً خَيرٌ لكَ من أن يكونَ لكَ حُمْرُ النَّعَم}.

على أن يقوم بالدعوة من يحسنها وبالحكمة والموعظة الحسنة كما قال تعالى في سورة النحل:{ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}(125)، ومن الحكمة عدم إقناط المذنبين والعصاة والمسرفين من رحمة الله تعالى كما بيّن تعالى في سورة الزمر:{ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}(53)، بل إن الله تعالى يغفر لهم وللكفار كل ما سلف من أعمالهم لحظة تصديقهم وإيمانهم فقال تعالى في سورة الأنفال:{ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ}(38)، وكما قال تعالى في سورة طه:{ اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى(43) فَقُولا لَهُ قَوْلا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى}(44)، وكما وجه رسول- صلى الله عليه وآله وسلم- أم المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- في الحديث الذي ورد في صحيح الإمام البخاري عن عروة بن الزبير أنها قالت:{ دخل رهط من اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: السام عليكم قالت عائشة: ففهمتها فقلت: وعليكم السام واللعنة، قالت فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلا يا عائشة إن

الله يحب الرفق في الأمر كله، فقلت: يا رسول أو لم تسمع ما قالوا؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قلت وعليكم}.

وإن الله تبارك وتعالى أرشد إلى إجارة المشركين لتبلغهم الدعوة ويسمعوا كلام الله تعالى فقال في سورة التوبة:{ وَإِنْ أَحَدٌ مِنْ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْلَمُونَ}(6)، وقال تعالى في سورة الممتحنة:{ لا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنْ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ(8) إِنَّمَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنْ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ}(9).

ولقد كان المسلمين يتطلعون لنشر دين الله أينما وجد بشر حتى وقف عقبة بن نافع على ساحل المحيط الهادي قائلا:{ اللهم لو كنت أعلم أن وراء هذا البحر أرضا لخضته إليها}، ولذلك توجَّهت الأمة إلى كل أنحاء المعمورة فخاضوا البحار إلى أن وصلت الرسالة إلى قبرص واسبانيا واجتازوا الأنهار مثل دجلة والفرات والنيل وصعدوا الجبال كهملايا للقيام بواجب تبليغ الدعوة للناس.

فلتبليغ هذا الدين إلى البشرية جمعاء أهمية كبرى، وأن رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- ومن تبعه من القرون الأُول لم يغفلوا عن هذه المسؤولية طرفة عين، فما أن عقد صلح الحديبية حتى توجه رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- بإرسال الرسل إلى ملوك الدنيا يدعوهم إلى هذا الدين وسار على نهجه الخلفاء الراشدين، فكل فرد من هذه الأمة على ثغرة من ثغرات هذا الدين

كلٌ حسب تخصُّصه وقدراته، فعلى البعض بذل الوقت وعلى آخرين بذل المال وعلى آخرين إعداد برامج الدعوة وعلى آخرين العمل على إعداد الدعاة وتجهيز المناهج الدعوية حتى تتضافر كل الجهود لإنجاز أفضل ما يمكن إنجازه في مجال الدعوة، فالجائزة عظيمة لمن يُدْخِلُ فرداً في هذا الدين فإن له مثل أجره ومن يهتدي به إلى قيام الساعة، فيموت المسلم وتبقى حسناته تتضاعف بسبب دخول الناس في هذا الدين، فليغتنم كل مسلم هذه الفضيلة قبل فوات الأوان ولنواصل مسير الركب لأول ولننفق في هذا السبيل ما يستطاع كما أمر الله تعالى فقال في سورة محمد:{ هَا أَنتُمْ هَـؤُلاَءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَآءُ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُونُواْ أَمْثَالَكُم}(38).

ثالثا: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أهمية بالغة للوصول إلى المجتمع المثالي الذي ينشده الإسلام، لما له من أهمية للمحافظة على سلامة الأمة من الداخل، ولتزكية البشرية من كثير من الشرور مثل سوء الخلق والجرائم والأمراض وكل ما يلوث صفو الحياة.

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب متجدد، فإنَّ أعداء الإنسانية لا يغفلون عن نشر شرورهم للوصول إلى غاياتهم، ولهذا أمر تعالى المؤمنين والمؤمنات بذلك فقال تعالى في سورة آل عمران:{ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمْ الْفَاسِقُونَ}(110)، وأكَّد سبحانه

وتعالى ذلك فقال تعالى في سورة التوبة:{ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}(71).

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب معلوم لدى جميع الأنبياء والصالحين، ولقد أوصى لقمان ابنه فقال تعالى في سورة لقمان:{ يَا بُنَيَّ أَقِمْ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنْ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ}(17)، وهي صفة التي أراد الله تعالى أهل الكتاب أن يكونوا عليها كما قال:{ لَيْسُواْ سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ ٱللَّهِ آنَآءَ ٱللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ(113) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنْكَرِ و يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ}(114)، ولذلك أوجبه الله عز وجل على هذه الأمة فقال في سورة آل عمران:{ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنْكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ}(104)، وكما جاء في شعب الإيمان عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:{ مروا بالمعروف وإن لم تعملوا به كله و انهوا عن المنكر وإن لم تنتهوا عنه كله}.

عقوبة ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

بيّن تعالى أنّ ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يترتب عليه عقوبات وأنّ بعضا من بني إسرائيل استحق العقوبة بسبب تركهم ذلك فقال في سورة البقرة:{ وَاسْأَلْهُمْ عَنْ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا

كَانُوا يَفْسُقُونَ(163) وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ(164) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنْ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ}(165)، فلم ينجُ من عذابه إلا أولئك النفر الذين قاموا بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

كما وبيّن رسول هذه الأمة– صلى الله عليه وآله وسلم– إنّ العذاب ينزل بسبب ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الحديث الذي ورد في سنن الإمام أحمد عن عدي بن عميرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:{ إن الله عز وجل لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكروه، فإذا فعلوا ذلك عذب الله الخاصة والعامة}، وقد بيّن الرسول– صلى الله عليه وآله وسلم– أنّ كل فرد مسؤول عن سلامة المجتمع في الحديث الذي ورد في صحيح الإمام البخاري عن النّعمانَ بنَ بَشيرٍ رضيَ اللهُ عنهما عنِ النّبيّ صلى الله عليه وسلم قال:{ مَثَلُ القائمِ على حُدودِ اللهِ والواقعِ فيها كمَثَلِ قومٍ استَهَموا على سَفِينةٍ فأصابَ بعضُهم أعلاها وبعضُهم أسفلَها، فكان الذين في أسفلِها إذا استَقوا مِنَ الماءِ مَرّوا على مَن فَوقَهُم، فقالوا: لو أنّا خَرَقْنا في نَصيبنا خَرقاً ولم نُؤْذِ مَن فَوقَنا، فإن يَترُكوهم وما أرادوا هَلَكوا جميعاً، وإن أخَذوا على أيديهم نَجَوا ونجوا جميعاً}.

فترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يترتب عليه عقوبات كثيرة ومتنوعة كما بيّن تعالى فقال في سورة المائدة:{ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ(78)

كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ}(79)، ومن العقوبات ما جاء في صحيح الإمام البخاري عن حذيفة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:{ والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليبعثن عليكم قوما، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم}، أو كما جاء في مسند الإمام أحمد عن حُذَيْفَةَ بنِ الْيَمانِ رضي الله عنه: عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال:{ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بالمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ المُنْكَرِ ولَيُوشِكَنَّ الله أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَاباً مِنْهُ فَتَدْعُونَهُ فَلا يَسْتَجِيبُ لَكُمْ}، أو كما ورد في صحيح الإمام البخاري عن عَبْدِ الله بنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم:{ إِنَّ أَوَّلَ مَا دَخَلَ النَّقْصُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ فَيَقُولُ: يَا هٰذَا اتَّقِ الله وَدَعْ مَا تَصْنَعُ فإِنَّهُ لا يَحِلُّ لَكَ ثُمَّ يَلْقَاهُ مِنَ الْغَدِ فَلاَ يَمْنَعُهُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ أَكِيلَهُ وَشَرِيبَهُ وَقَعِيدَهُ فلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ ضَربَ الله قُلُوب بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ، ثُمَّ قالَ:" لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بني إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى بنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون}، ثُمَّ قالَ: كَلاَّ والله لَتَأْمُرُنَّ بالمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عن المُنْكَرِ وَلَتَأْخُذُنَّ عَلَى يَدَيِ الظَّالِمِ، وَلَتَأْطِرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْراً، وَلَتَقْصُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ قَصْراً}، وفي رواية " أَوْ لَيَضْرِبَنَّ اللَّهُ بِقُلُوبِ بَعْضِكُمْ عَلَى بَعْضٍ وَيَلْعَنَكُمْ كَمَا لَعَنَهُمْ".

شروط تغيير المنكر

للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شروط، ومختصر ما قاله فضيلة العلامة يوسف القرضاوي في تغيير المنكر هو:-

الشرط الأول: أن يكون محرمًا مجمعًا عليه. وسواء أكان الحرام من الصغائر أم من الكبائر، وإن كانت الصغائر قد يتساهل فيها ما لا يتساهل في الكبائر، فلا يدخل في المنكر المكروهات، أو ترك السنن والمستحبات.

الشرط الثاني: ظهور المنكر، أي أن يكون المنكر ظاهرًا مرئيًا، فأما ما استخفى به صاحبه عن أعين الناس وأغلق عليه بابه فلا يجوز لأحد التجسُسْ عليه بوضع أجهزة التصنُت عليه أو كاميرات التصوير الخفية أو اقتحام داره عليه لضبطه متلبسًا بالمنكر. وهذا ما يدل عليه لفظ الحديث: "من "رأى" منكم منكرًا فليغيره..." فقد ناط التغيير برؤية المنكر ومشاهدته ولم ينطه بالسماع عن المنكر من غيره.

الشرط الثالث: القدرة الفعلية على التغيير، أي أن يكون مريد التغيير قادرًا بالفعل. بنفسه أو بمن معه من أعوان. على التغيير بالقوة، بمعنى أن يكون لديه قوة مادية أو معنوية تمكنه من إزالة المنكر بسهولة. وهذا الشرط مأخوذ من حديث أبي سعيد أيضا؛ لأنه قال: "فمن لم يستطع فبلسانه" أي: فمن لم يستطع التغيير باليد، فليدع ذلك لأهل القدرة، وليكتف هو بالتغيير باللسان والبيان، إن كان في استطاعته.

الشرط الرابع: عدم خشية منكر أكبر، أي ألا يخشى من أن يترتب على إزالة المنكر بالقوة منكر أكبر منه، كأن يكون سببًا لفتنة تسفك فيها دماء الأبرياء، وتنتهك الحرمات، وتنتهب الأموال، وتكون العاقبة أن يزداد المنكر تمكنا، ويزداد المتجبرون تجبرًا وفسادًا في الأرض. وفي القرآن الكريم ما يؤيد ذلك، في قصة موسى عليه السلام مع بني إسرائيل، حين عبدوا العجل { قَالَ

يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا. ألا تَتَّبِعَن أَفَعَصيْتَ أمري. قال يا بن أم لا تأخذ بِلِحْيَتي ولا بِرَأْسِي إني خَشِيتُ أن تقول فَرَّقْتَ بين بني إسرائيل ولم تَرْقُبْ قولي). (طه : 92 – 94). ومعنى هذا: أن هارون قدَّم الحفاظ على وحدة الجماعة في غيبة أخيه الأكبر حتى يحضر، ويتفاهما معًا كيف يواجهان الموقف الخطير بما يتطلبه من حزم وحكمة.

وضرورة الرفق في تغيير المنكر مستنبط من قوله تعالى:{ اذهبا إلى فرعون إنه طغى. فقولا له قولا لَيِّنًا لعله يَتَذَكَّر أو يَخْشَى}. (طه: 43، 44).

خلاصة المبحث

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب من واجبات هذه الأمة، ومن الضروري إنشاء المعاهد والمناهج المتخصصة لتخريج الكفاءات القادرة على تخريج المؤهلين للقيام بهذا العمل خير قيام لترسيخ المفاهيم الإسلامية وعلاج المشاكل الاجتماعية مثل إصلاح ما بين الأزواج والأسر، ووضع الحلول للمشاكل التي يعاني منها الشباب والمراهقون من الجنسين، وكذلك النظر في مشاكل الأولاد دون سن الرشد والأخذ بأيدهم، والعمل على إصلاح المنحرفين والمفسدين في الأرض ومتعاطي المخدرات والمسكرات وذوى الشذوذ، وإصلاح ما بين الأسر والجيران وغيرها، فمظلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كبيرة شاسعة وبحاجة إلى تضافر كل الجهود.

الباب الثالث

المبحث الثاني: الضرورات الثانوية

إعداد كل ما يستطاع من قوة

الضرورات الثانوية لبلوغ الأمة غايتها فيكمن في إعداد كل ما يستطاع من قوة للمحافظة على مكتسباتها وقيمها ومكانتها ولحماية نفسها وشعوبها وحقوقها ودينها وعقيدتها ومبادئها، ولتي تم التفريط في الكثير منها، ولإعداد كل ما يستطاع من قوة حصر مكامن القوة والضعف لدى الأمة، والأخطار الداخلية والخارجية التي تَحْدِقُ بها، ومن ثم العمل على المحافظة على كل ما تملك من مقومات القوة وتعزيزها، والعمل على تقوية نواحي الضعف والاستعداد لمواجهة الأخطار الداخلية والخارجية، وبذلك يمكن الوصول إلى القوة المطلوبة، ولذلك يبقى إعداد كل ما يستطاع من قوة عمل متجدد لا نهاية له بتغير تلك المعطيات.

فمن أهم ما تملك الأمة من مقومات القوة هو هذا الدين العظيم الذي قبله الناس الذين وصل إليهم، والذي يضمن وحدة الأمة وعزتها وكرامتها، كما وتملك وعد الله تعالى لها بأن ترث الأرض وما عليها، ويبلغ دينها ما بلغ الليل والنهار ويدخل كل بيت، ومن مقومات القوة المورد البشري الكبير والرقعة الجغرافية الشاسعة للعالم الإسلامي، فتعداد المسلمون خمس العالم أو يزيد، ولديها الكثير من الموارد الطبيعية من نفط وأموال ومعادن وثروات زراعية وحيوانية، كما وتملك موقع جغرافي استراتيجي عالمي تتوسط العالم كله يمتد من جنوب الاتحاد السوفيتي إلى معظم آسيا وأفريقيا وأطراف أوربا، كما وأن لهذه الأمة تاريخاً مجيداً سادت فيه العالم لأكثر من اثني عشر قرناً سمت بأخلاق العالم ونشرت فيه العلم والنور وبددت فيه ظلمات الجهل ووضعت أساسا للتطورات والتقنيات الحديثة التي نشهدها اليوم وغيرها، إلا أنه مما يؤسف له أنّ كل هذه القوى لم يحسن استغلالها بعد للوصول إلى غاية الأمة.

أما مكامن الضعف والأخطار الداخلية فإن الكثير من قادة الدول الإسلامية يولون أهمية كبرى لمصالحهم الشخصية على مصالح أمتهم وأوطانهم، ناهيك عن العمل للوصول إلى هدف الأمة الاستراتيجي، أضف إلى ذلك عدم معرفة كثير من أفراد الأمة بمكانتهم ومستقبلهم وغايتهم، وارتفاع نسب الأمية، وتخلف الأمة العلمي والصناعي والتقنيني وعلى كثير من الأصعدة، كما أنّ هذه الأمة تستورد معظم ما تدافع به عن نفسها من غيرها، بالإضافة إلى أنّ معظم أموالها مستثمر عند غيرها، وتستورد كل ما تحتاج إليه إلى غير ذلك مما هو معلوم.

وأما الأخطار الخارجية فسيطرة من لا يرجو تقدم هذه الأمة على معظم مقدراتها، وتقدمهم العلمي والصناعي والتقنيني، واعتماد تلك الأمم على نفسها في تصنع كل ما تحتاج إليه وما تدافع به عن نفسها، وأنّ تلك الأم تحسن استثمار أموالها للوصول إلى غاياتها، وهيمنة تلك الأمم على الاقتصاد والتجارة وكذلك الهيئات العالمية وغير ذلك، فلا بد من وضع أولويات وخطط للتغلب على كل ذلك، وقد تم استعرض أهم المقومات التي ينبغي الاهتمام بها.

العداء

العداء ينطلق من القاعدة التي تقول" أن من جهل شيء عاداه" والذي يترتب عليه أن " من كفر بشيء فعداوته أشد"، فتاريخ العداوات بدا منذ الخليقة، ولقد ذكر تعالى العداء للأنبياء في كتابه العزيز في قوله تعالى في سورة الأنعام:{ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ **عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالْجِنِّ** يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا

يَفْتَرُونَ}(112)، وقوله تعالى في سورة الفرقان:{ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ **عَدُوّاً مِّنَ الْمُجْرِمِينَ** وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِياً وَنَصِيراً}(31)، ولذا نرى تكالب الأمم على هذه الأمة لمنعها من الوصول إلى غايتها، ولذلك شرع الله تعالى إعداد كل ما تستطيع من قوة للوقوف أمام تلك العداوات فقال في سورة الأنفال:{ **وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ** وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ **تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ** وَمَا تُنفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ}(60)، ليتميز بذلك كل فريق.

إعداد كل ما يستطاع من قوة

أولا: العلم

من الواجبات الشرعية أن يسخر المسلم تعلمه لصلح الأمة وهدفها الاستراتيجي، فالعلم أساس للقوة التي لا بد من إعدادها في كل مجالات الحياة كلٌّ في تخصُّصه، وقد أشار عزَّ وجلَّ إلى أهميته ليعقل الإنسان ما حوله ويزداد يقيناً بربه فقال تعالى في سورة البقرة:{ إِنَّ فِي خَلْقِ **السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ** وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَآءِ وَالأَرْضِ **لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**}(164)، وللتفكر في أنواع الأرض والزرع قال تعالى في سورة الرعد:{ وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَآءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذلِكَ لآيَاتٍ **لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**}(4)، وكذلك عِلْمُ ما يتعلق بالليل والنهار والشمس والقمر

والنجوم فقال في سورة النحل:{ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالْنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالْنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ **لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**}(12)، ومعرفة الظواهر الطبيعية من البرق والمطر والنبات فقال في سورة الروم:{ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ **الْبَرْقَ** خَوْفاً **وَطَمَعاً وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَيُحْيِي** بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ **لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**}(24)، كما حضّ الله تعالى على معرفة النجوم وعلم الفلك لما فيه من إرشاد للسالك في ظلمات البرّ والبحر فقال في سورة الأنعام:{ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ **لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**}(97)، ولمعرفة منازل الشمس والقمر وعدد السنين وما يتعلق بأمور الحساب كمواقيت الصلاة كما بين سبحانه فقال في سورة يونس:{ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَآءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ **لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ** مَا خَلَقَ اللَّهُ ذلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ **يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**}(5)، وقال جلَّ وعلا عن بعض الأسرار التي أودعها في الماء فقال تعالى في سورة الأنعام:{ وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُّتَرَاكِباً وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُواْ إِلِى ثَمَرِهِ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذلِكُمْ لآيَاتٍ **لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**}(99)، كما وحضَّ على دراسة السماوات والأرض لما فيها من دلائل تعين المؤمنين على فهم دينهم ولما فيها من تدبُر وتعقُل فقال في سورة الجاثية:{ إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ **لِّلْمُؤْمِنِينَ**(3) وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ **يُوقِنُونَ**(4) وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَآءِ مَّن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ **آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**}(5)، وإن الإنسان الذي لا يعقل لا خير فيه وسمّاه تعالى

بشرِّ الدواب فقال تعالى في سورة الأنفال:{ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ **لاَ يَعْقِلُونَ**}(22)، ولذلك فضل الله جلّ وعلا الإنسان العالم على غيره فقال تعالى في سورة الزمر:{ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَآءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَآئِماً يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ **هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ** إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ **أُوْلُو الأَلْبَابِ**}(9).

وقد حضَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على التعلم كما ورد في سنن الإمام ابن ماحة عن قيس بن كثير رضي الله عنه قال: قدم رجل من المدينة على أبي الدرداء وهو بدمشق فقال: ما أقدمك يا أخي؟ فقال: حديث بلغني أنك تحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: أما جئت لحاجة؟ قال: لا، قال: أما قدمت لتجارة؟ قال: لا، قال: ما جئت إلا في طلب هذا الحديث؟ قال: فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:{ من سلك **طريقا** يبتغي فيه **علما** سلك الله له طريقا إلى الجنة **وإن الملائكة** لتضع أجنحتها رضاء **لطالب العلم** وإن العالم **ليستغفر له** من في السماوات ومن في الأرض **حتى الحيتان** في الماء، وفضل العالمِ على العابد **كفضل القمر على سائر الكواكب** إن **العلماء ورثة الأنبياء** إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما إنما ورثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظ وافر}.

ثانيا: الموالاة

بذل النصرة والمحبة والمتابعة من الموالاة، وتعني تسخير كل ما يمكن من مال وأنفس وغير ذلك لصالح الأمة وهدفها الاستراتيجي، وبيّن تعالى أنّه ولي المؤمنين فقال تعالى في سورة البقرة:{ **اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ** يُخْرِجُهُم مِّنَ

الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}(257)، ونبَّه تعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم على مولاة المؤمنين فقال تعالى في سورة الأنفال:{ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ **وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**}(64)، ونبه تعالى المسلمين لذلك فقال في سورة المائدة:{ إِنَّمَا **وَلِيُّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا** الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ}(55)، وقال تعالى في سورة التوبة:{ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ **بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ** يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}(71).

وبيّن تعالى أنّ المولاة خاصة بالمؤمنين ولا تجب للكفار البتة فقال في سورة الأنفال:{ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَنَصَرُوا **أُوْلَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ** وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا **مَا لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ** حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ(72) وَالَّذِينَ كَفَرُوا **بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ** إِلا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ(73) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَنَصَرُوا أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ(74) وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ **فَأُوْلَئِكَ مِنْكُمْ** وَأُوْلُوا الأَرْحَامِ **بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ** فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}(75)، ولا هي لمن لا يؤمن بالله تعالى ولو كان من الأرحام فقال تعالى في سورة المجادلة:{ لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ **وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ**

عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمْ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمْ الْمُفْلِحُونَ}(22)، وقال في سورة التوبة:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ آبَاءكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ **أَوْلِيَاء** إَنِ اسْتَحَبُّواْ الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ **فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**(23) قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}(24).

وحذر تعالى من موالاة الكفار فقال تعالى في سورة آل عمران:{ **لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ** وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللّهِ الْمَصِيرُ}(28)، ونهى عن موالاة المحاربين من اليهود والنصارى فقال تعالى في سورة المائدة:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ **لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء** بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ **وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ** إِنَّ اللّهَ **لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**}(51)، كما ونهى عن اتخاذ الأعداء أولياء فقال تعالى في سورة الممتحنة:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا **لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء** تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءكُم مِّنَ الْحَقِّ **يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ** أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاء مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ}(1).

ثالثا: المال

إن ما يؤسف له أن الأمة الإسلامية لم تستفد الاستفادة المثلى من الثروات التي منحها الله تعالى لها ولم تُسَخر تلك الأموال للوصول إلى غايتها، ولا لإعداد كل ما تستطيع من قوة، بل اعتمدت على الشرق مرة وعلى الغرب مرة، بل إنها في بعض الأحيان استُعبِدَتْ وذُلَّت بتلك الأموال، ولذا فإعادة النظر في توجيه تلك الثروات لصالح الأمة الإسلامية واجب شرعي خاصة فيما بين دول منظمة المؤتمر الإسلامي السبعة والخمسون، وكذلك السوق الإسلامية المشتركة متى وجدت، فعلى كل فرد مسلم الحرص على أن يستغل كل ما لديه من مال لصالح أمته ودينه وتحقيق غايتها فذلك من الموالاة وفي سبيل الله تعالى، كما قال تعالى في سورة البقرة:{ مَّثَلُ الَّذِينَ **يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ** كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}(261)، وقال تعالى في سورة محمد:{ هَا أَنْتُمْ هَؤُلاءِ **تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ** فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا **يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ** وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ **وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ**}(38)، ولذلك قال تعالى في سورة النساء:{ **لا يَسْتَوِي** الْقَاعِدُونَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ **وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ** فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى **وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا**}(95).

فكما حضَّ تعالى على نفقة المال في سبيله حذر من إضاعته فقال تعالى في سورة الأنعام:{ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ **كُلُواْ مِن ثَمَرِهِ**

إِذَا أَثْمَرَ **وَآتُواْ حَقَّهُ** يَوْمَ حَصَادِهِ **وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**}(141)، وقال تعالى في سورة الأعراف:{ يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ **وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**}(31)، وكما ورد في صحيح الإمام البخاري عن الشَّعْبي قال: حدثني كاتبُ المُغيرةِ بن شُعبةَ حيث قال: كتبَ مُعاويةُ إلى المُغيرةِ أنِ اكْتُب إليَّ بشيءٍ سَمِعْتَه مِنْ رسولِ اللَّهِ، فَكَتَبَ إليهِ إنِّي سَمِعْتُهُ يقولُ عند انصرافه من الصلاة:{ لا إله إلا الله و حده لا شريك له، له الملك و له الحمد وهو على كل شيء قدير ثلاث مرات وكان ينهى عن قيل وقال وكثرة السؤال **وإضاعة المال** ومنع وهات وعقوق الأمهات ووأد البنات}.

رابعا: بذل النفس

بذل الجهد أو تفريغ الوقت لمصلحة الأمة وهدفها الاستراتيجي واجب شرعي آخر لإعداد القوة التي أمر الله بها ومن أحب الأعمال إلى الله، بل وأحبَّ من كثير من العبادات كما قال تعالى في سورة آل عمران:{ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ **جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ**}(142)، ولذلك حض الله تعالى على بذل الجهد في سبيله فقال تعالى في سورة المائدة:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ **وَجَاهِدُواْ فِي سَبِيلِهِ** لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}(35)، ووعدهم بهدايتهم فقال تعالى في سورة العنكبوت:{ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا **لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا** وَإِنَّ اللَّهَ **لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**}(69)، وقال تعالى عنهم في سورة البقرة:{ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ **وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ** أُوْلَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللّهِ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}(218)، وبذل النفس أفضل بكثير من سقاية الحجاج وعمارة المسجد الحرام كما بيّن سبحانه فقال في سورة التوبة:{

أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ(19) **الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْفَائِزُونَ**(20) يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ(21) خَالِدِينَ فِيهَآ أَبَداً إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ}(22)، فعلى كل مسلم أن يبذل كل ما يستطيع من وقت وجهد لصالح هذا الدين وفي أي مجال من مجالات الحياة لتظهر حقيقة هذا الدين لكل البشر.

خامسا: أمور أخرى

إذا تم ذكر بعض عناصر القوة في هذا الباب التي تجب توجيهها لصالح الأمة وهدفها الاستراتيجي فلا يعني هذا حصرها، فغرس ثوابت هذه الأمة مثل أنها خير أمة أخرجت للناس، وأن الله تعالى ممكناً لها على الأرض وأن دينها يبلغ ما بلغ الليل والنهار، وأنها كلِّفت وشُّرفت بإقامة شرع الله تعالى على الأرض، وأن شرائع دينها رحمة للعالمين، وأن الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والعمل على جمع كلمة المسلمين وعدم تفرُّقهم هي أبواب أخرى تصب لصالح هدف الأمة الاستراتيجي، والأصل أن تفعيل أي أمر آخر يؤدي إلى تقوية هذه الأمة ينطوي تحت هذا الباب، فعلى رجالات هذه الأمة توجيه الناس لتفعيل كل ما يمكن تسخيره لنصل إلى الغاية العظمى والهدف الاستراتيجي الذي خطه الله تعالى لهذه الأمة كل فيما يخصُّه وبحدود مسؤولياته وواجباته. فأن أي إنجاز في أي بلد كان يحققه الحريصون على تقوية هذه الأمة هو نصر لكلها وفي

ذلك فليتنافس المتنافسون، فلتكن الأمة على وعي شامل لما تريد تحقيقه وإذا اختلفت الطرق فنسلك أقلها ضرراً، فدرء المفاسد أهم من جلب المصالح كما قعَّد فقهاء هذه الأمة.

وجانب آخر لتقوية هذه الأمة هو إحداث التكامل بين الجامعات والدراسات وما تنتجه الأمة في المجال الزراعي والصناعي وغيرهما من العلوم التطبيقية لتحسين تلك المنتجات وتطوير الناتج المحلي للوصول إلى الأفضل، كما أنّ من المهم بعد العناية بالعلوم والعلماء الاهتمام بالمهندسين والحرفيين لأنهم أداة التطوير والتنفيذ لما تتوصل إليه تلك العلوم على أرض الواقع.

خلاصة المبحث

حيث أنّ الأمة قد علمت أن لها عدواً يعمل ليل نهار باذلاً كل ما لديه من حِيَل ليصدها عن بلوغ مقاصدها في هذه الحياة، وأن للأمة مكامن قوة يجب صيانتها ولها جونب ضعف لا بد من تقويتها، وأنّ هناك أخطار داخلية وأخطار خارجية تهدد الأمة فلا بد من الاستعداد لها والعمل الجاد على كل الأوجه وبذل كل ما يستطاع لتصحيح مسار الأمة للوصول إلى الغاية المنشودة.

الخاتمة

عَظُمَتْ عزّة وكرامة وأنفة الأمة عندما عرفت مكانتها عند الله عزّ وجلّ كخير أمة أخرجت للناس فتشبثت بدينها، وأيقنت أن وعد الله تعالى ورسوله آتٍ لا محالة بأن المستقبل لدينها على هذه الأرض فذلت كل الصعاب، واستيقنت أن شرائع دينها رحمة للعالمين فزاد من عزيمتها وعزتها وكرامتها وأنفتها ورسَّخ إيمانها بحقيقة دينها، وعرفت غايتها فلم تألُ جهدا في إقامة كامل شرع الله تعالى أينما حلت وفي كل قطر وصلت إليه، وعلمت أن عليها واجبات فتوحدت والتفت حول استراتيجياتها، ثم هبّت إلى دعوة الناس إلى قِيَم الدين العظيم الذي قبلته الأمم، وطهرت مجتمعاتها من كل الرذائل بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبالحكمة والموعظة الحسنة فتزكت وسعدت فأصبحت منارا للبشر، وأعدت كل ما يستطاع من قوة للمحافظة على قيمها وعزتها وكرامتها وأنفتها، وتذكرت العهد الذي أخذه الله تعالى عليها بتعزير ونصر وتوقير الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كما بيّن في سورة الفتح فقال:{ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً{8} **لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ** وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً{9} **إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ** فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً{10} فانصاعت لكل ذلك فحري بهذه الأمة اليوم أن تعود إلى ما اصطفيت من أجله.

المصادر والمراجع

الرقم	اسم الكتاب	كنية المؤلف	الناشر	البلد	رقم الطبعة	سنتها
1	القرآن الكريم	الله جل جلاله	مجمع الملك فهد	المملكة العربية السعودية		1407هـ - 1987م
2	صحيح البخاري	الإمام البخاري	دار النفـــائس للطباعـــة والنشر	بيروت – لبنان	4	1411هـ - 1990م
3	صحيح مسلم	الإمام مسلم	دار الكتب العلمية	بيروت – لبنان	1	1421هـ - 2000م
4	سنن الترمذي	الإمام الترمذي	دار الكتب العلمية	بيروت – لبنان	1	1418هـ - 1997م
5	سنن النسائي	الإمام النسائي	دار الكتب العلمية	بيروت – لبنان	5	1420هـ - 1999م
6	الموطأ	الإمام مالك	دار النوادر	دمشق – سوريا	1	1429هـ - 2008م
7	مسند أحمد	الإمام بن حنبل	مؤسسة الرسالة	القاهرة – مصر	2	1429هـ - 2008م
8	السنن الكبرى	الإمام البيهقي	دار الفكر	دمشق – سوريا	3	1424هـ - 2003م
9	مسند أبي يعلى	الإمـــام إبـــي يعلى	دار المأمون للتراث	دمشق – سوريا	1	1404هـ - 1984م
10	سنن الدارمي	الإمام الدارمي	دار ابن حزم	بيروت – لبنان		1421هـ - 2000م
11	سنن ابن ماجة	الإمـــام بـــن ماجة	دار المعرفة	بيروت – لبنان	1	1419هـ - 1998م
12	جـامع الأحاديـث والمراسيل	ابن أبـي حـاتم الرازي	أضواء السلف	السعودية / الرياض	3	1423هـ - 2003م
13	شعب الإيمان	البيهقي	دار الكتب العلمية	بيروت – لبنان	1	1410هـ - 1990م
14	تفسير ابن كثير	ابن كثير	دار السلام	الرياض - السعودية	1	1410هـ - 1990م
15	تفسير الجلالين	المحلـــــــي والسيوطي	دار المكتب الإسلامي	بيروت - لبنان	1	1405هـ - 1984م
16	تفسير السعدي	السعدي	دار صادر بيروت	بيروت - لبنان	1	1300هـ
17	تفسير القرطبي	القرطبي	دار الكتب العلمية	بيروت – لبنان		2011م
18	تفسير الطبري	الطبري	دار الكتب العلمية	بيروت – لبنان		2011م
19	تهـذيب الأسـماء واللغات	النووي	مؤسسة الرسالة	بيروت - لبنان	4	1406هـ - 1985م
20	قـــاموس لســـان العرب	ابن منظور	دار إحيـــــاء التـــــراث الإسلامي	بيروت - لبنان	2	1417هـ - 1997م
21	الموسوعة الحرة	ويكيبيديا	موقـــع علـــى الشـــبكة الالكترونية	250 لغة		
22	بحر الأنوار	المجلسي	دار إحياء التراث العربي	بيروت - لبنان	3	1403هـ - 1983م
23	الغيبة	النعماني	مؤسسة الأعلمي	بيروت - لبنان	1	1403هـ - 1983م
24	أصول الكافي	الكليني	دار صعب ودار التعارف	بيروت - لبنان	4	1401هـ - 1981م
25	الغيبة	الطوسي	مؤسســـــة المعـــــارف الإسلامية	إيران	1	1411هـ - 1991م

السيرة الذاتية

أولا: المعلومات الشخصية

- الاسم: فؤاد محمود إبراهيم آل محمود
- الهاتف النقال: 00973 39670629
- البريد الإلكتروني: fuadmeamalmahmood@gmail.com
- الحالة الاجتماعية: متزوج

ثانيا: المؤهل العلمي

- ماجستير إدارة أعمال
- بكلوريا هندسة ميكانيكية

ثالثا: العمل السياسي

- عضو مؤسس في جمعية الوحدة الوطنية
- عضو مؤسس في جمعية الشورى الإسلامية سابقا

رابعا: العمل الاجتماعي

- عضو مؤسس في الجمعية الإسلامية وعضوا مجلس إدارة وأمين سر مجلس الإدارة
- عضو في لجنة الحد الأهلية وعضو اللجنة التنسيقية بين الجمعيات الأهلية سابقا
- عضو في جمعية الحد التعاونية الاستهلاكية، وعضو مجلس إدارة (1989م- 2010م)

خامسا: المؤلفات

- كتاب إشراقة أمة 2012م
- كتاب الحل الإسلامي لمشاكل الحضارة الإنسانية 2014م
- كتاب كيف نسعد في الدنيا 2017م